بسم الله الرحمن الرحيم

إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون

لله العلم

بشير التركي

1399هـ - 1979م

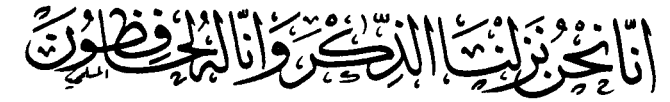

لله العلم

بشير التركي

1399هـ - 1979م

ولد الأمير التركي في 21-3-1931 في مدينة المهدية بتونس وهو من خامس جيل في تونس من سلالة الإمام علي جمويل (جمال الدين الصغير) المعروف بشمويل أو شاميل أسد القفقاس و أخ في الجهاد للأمير عبد القادر بن محي الدين القرصنتي مؤسس الدولة الجزائرية .

وقد تابع دراساته الثانوية في المدرسة الصادقية و دراساته العليا بفرنسا حيث أحرز على شهادة مهندس سنة 1956 و شهادة الدكتورى في الفيزيا النووية بالكولاج دي فرانس Collège de France سنة 1959.

و درّس في جامعات عديدة : تونس و الجزائر و ليبيا و مصر.... و أنجز عدة مشاريع علمية و مراكز للبحث العلمي نووية و شمسية وغيرها في بلدان مختلفة.

و قد قام بمسؤوليات علمية عديدة منها في الوكالة الدولية للطاقة الذرية بفيانا في النمسا حيث كان رئيسها في سنة 1969.

وهو من مؤسسي مجلة "التجديد" التونسية سنة 1961 و مدير مجلة "العلم و الإيمان" منذ نشأتها في تونس سنة 1972 .

وشارك في عدة مؤتمرات علمية و إسلامية و نشر ثمانين كتابا و دراسة علمية و مائة عددا من مجلة "العلم و الإيمان".

★

تمهيد

يحاول أن يبيّن في هذا الكتاب انطلاقا من التعريف بالعلم و مفاهيمه و اسلوبه و نتائجه أنّ المبدأ الأساسي للتفكير في العلم المعاصر هو نفس المبدإ الأساسي لإيمان المسلم و لا عجب في ذلك إذ أن عروق العلم المعاصر مترامية في العلم الذي أسسه المسلمون منذ من عشرة قرون. و انّ الإسلام و العلم ينبثقان سواسية من الكمال و الإطلاق.

و القرآن الكريم الذي هو كلام الله لا يتنافى أبدا مع العلم و علاوةً على ذلك فإنّ العلم لن يفوته قط لأنّ الله هو العليم.

و يبيّن ذلك بأمثلة مضبوطة مقتبسة من ميادين مختلفة تتراوح بين خلق الدنيا الكونية و بين الذرة المجهرية آخذا بالإعتبار عالم الحياة و أيضا بين الميدان المادي الجمادي المحسوس و بين الميدان المعنوي للروح و العقل.

فهو يحاول أن يبرز في وجه جديد مصير الإنسان في عصر العلم و يحثّه على أن يجد حلول مشاكله المعنوية و المادية في الإسلام الذي يبدو اليوم أنه دين العلم أيضا.

الفهرس

الصفحة

١) **المقدمة** : فى عصر العلم ارجع الانسان الى الوثنية وهدف هذا الكتاب هو المساهمة فى انقاذ الانسان من الانحلال واعلاء منزلته دنيا وآخرة 7

٢) **الاسلام دين العلم** : ان الاسلام والعلم ينطلقان سواسية من نفس القاعدة وهى الشهادة 13

1 — **العلم** : انه دراسة تطور الانظمة والبحث عن الثوابت والمستقرات خلال هذا التطور 17

2 — **التقنية** : هى تطبيق معلومات بفضل عمل متواصل لانجاز مشاريع معينة 20

3 — **مبدأ التطور** : كل نظام فى الكون لا يتطور الا من حالة منظمة الى حالة اقل تنظيم 24

4 — **الى الله** : « ان الدين والعلم يقاتلان معا فى معركة مشتركة ضد الشك والجحود والخرافة » 27

5 — **العلم بلا دين أعرج والدين بلا علم أعمى** : « الدين دواء والعلم غذاء » 30

6 — **الشهادة منطلق العلم** : لا يوجد فى الدنيا لا ثبات ولا استقرار ولا دوام ولا خلود 37

7 — **الغيب لله وحده** : ان الانسان مسير فى اعماله ومخير فى شكلها خيرا كانت أو شرا 44

8 — **الى الله ترجع الامور** : كلما حول الانسان مفهوما علميا الى حركة الا وانجز ثورة علمية ولكن لا توجد حركة مطلقة فى الدنيا 52

الصفحة

9 — **لا علم لنا الا ما علمتنـا** : « والذى سيبقى الى الابد غير مفهوم فى الطبيعة هو اننا ندركها » 55
10 — **الخلق للـه وحده** : ان الحيوان لا يتطور الى انسان بل يتطور الانسان الى حيوان احيانا 63
٣) **القرآن كتاب علـم** : ليس هو معجما علميا ولكنه مستوحى من روح العلم وجوهره 79
1 — **الاعـداد** : من زوج كل شىء يخرج الله الفرد فى نسخة فريدة لا مثيل لها فى الدنيا 86
2 — **الزمان** : ان حقيقة الزمان غير التى نتصورها فى العادة وليس للزمان معيار ثابت 104
3 — **الكون** : السماوات سبع وهى ذات الرجع 112
4 — **الشمس** : انها نجم سوف يتكور قبل أن يصل الى المستقر الذى هو مركز مجرتنا 125
5 — **الارض** : الارض سبـع وقد جعلها اللـه لنا مسطحة وهى على شكل دحية 133
6 — **القمـر** : القمر احسن ساعة فى الفلك ولا يعلم احد سوى الله وقت ظهور الهلال 144
7 — **المـاء** : وهو اساس كل حياة وبين البحرين برزخ والله هو الذى ينزل الغيث 156
8 — **الحياة** : الله هو الذى يحيى كل شىء وتوجد الحياة خارج الارض ايضـا 176
٤) **الخـاتمـة** : يتبين لنا هكذا السبيل الى التقدم 203
٥) **مـذكـرات** : 212
1 — رسالة مجلة « العلم والايمان » 213
2 — الارقـام عربيـة 219

١ـ المقدّمة

« يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ
وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ »
— 8 / 61 —

ـ في عصر العلم أُرجع الانسان الى الوثنية وهدف هذا الكتاب هو انقاذ الانسان من الانحلال واعلاء منزلته دنيا وآخرة

ان عنوان هذا الكتاب « لله العلـــم » هو نفس عنوان المحاضرة التى القيتها فى مدينة المهديـــة (تونس) يـــوم السبت 18 جويلية 1970 ·

ويحتوي هـــذا الكتـــاب على ملخص العـــديد مـــن المحاضرات التى القيتها منذ 1959 فى تونس والجزائـــر وليبيا وغيرها ··· والمقالات التى كتبتها ونشرت الكثير منها فى مجلة « العلم والايمان » منذ صدورها فى شهـــر مـــارس 1972 خاصـــة فى باب « الاعجـــاز العلمي في القرآن » · فهو عبارة عن حوصلة لما توصل اليـــه باذن الله العلم المعاصر فى معرفة ما في الكون وما حوله ·

ويصدر هذا الكتاب في آخر سنـــة من القرن الرابـــع عشر حيث يواجه المسلمون في جميع أنحاء المعمورة موجة عنيفة بعدما انتصروا في مواجهة أمواج الوثنية والصليبية والاستعمارية والاندماجية والعنصرية وغيرها الى حـــد زمن غير بعيد ····

وتتمثل هذه الامواج الآن في تهجمات فكرية وأدبيـــة ومذهبية تلك التي تقتصر في جملتها على تفسير الحيـــاة

والمجتمعات والتاريخ تفسيرا اقتصاديا وماديا بحتا ·

وتحاول اقحام مفاهيم ملحدة في عقول المسلمين كالطبيعة عوض الله والمسرح عوض المسجد والدين مخدر الشعوب وفصل الدين عن العلم والعلم والتقنية مثل « اللاتي والعزى » أوثان تعبد وبشر على شكل أبطال تقدس ومفهوم الانسان حيوان « داروين » وتفسيره تفسيرا جنسيا من ناحية « فرويد » واستهلاكيا في الاكل والمسكن ··· « ماركس » ···

وهي قد تهدف الى :

١) هدم فرائض الاسلام الاساسية كالصوم والحج والجهاد والى التشكيك في عمومية الاسلام وفي نهاية الرسالات والاديان وفي نفس الوقت تصدح برسالات بدون وحي ····

٢) الفصل بين الدين والدولة والدين والمجتمع والدين والعلم والدين والعمل وهكذا دواليك الى فصل الدين عن الانسان ·

٣) اخضاع المجتمعات الاسلامية للقوانين الوضعية واثارة الشبهات حول المستقر والمتحول وكذلك حول ما يزعم من استطاعة الاسلام على التجاوب مع أوضاع المجتمعات والعصر المتقدم الحديث ·

٤) تعليل وجود الفواحش بما فيها الخمور والربا و « السرقات الشرعية » الخ ... وتبرئة ساحتها .

٥) تدمير القيم الاخلاقية بصفة عامة وتفكيك المجتمعات وهدم الأسرة واشاعة الجنس والشهوات والقضاء على العلاقات بين الاجيال واضعاف ترابط الآباء والابناء والرجال والنساء واثارة النساء على الرجال والابناء على الوالدين وتنظيم جمعيات لشن الفتنة بينهم.

٦) بث دعوات العنصرية مثلا بين المرأة والرجل وبين المدني والأفاقي والدعوات الاقليمية والتفريق بين الشعوب ذوي الدين الواحد والتاريخ الواحد واللغة الواحدة وتمزيق وحدتهم الحتمية ونقلها من قاعدة الاصالة القائمة على الفكر والعقيدة الخالدة الى قاعدة مادية بحتة لا تدوم لا في المكان ولا في الزمان قوامها الانتاج والاستهلاك .

وقد ظهرت لذلك جماعات متخصصة بهدف نفث هذه السموم في صفوف الشباب وتهديد الكهول بالضرب على الايدي .... مستعملين المطبوعات الرخيصة الشاهرة للجنس والمرأة العارية والقصص المبتذلة ومسخرين كل أجهزة الاعلام من صحافة واذاعة مرئية ومسموعة تلك التي تذيع قشور الفكر البشري في شكل خرافات وأساطير ورقص وسحر تحت عنوان الفولكلور ومحو التراث

الاصيل للامم والشعوب وهو التراث الذي جاء به القرآن الكريم الكتاب المنزل ٠

ولقد اعانهم على ذلك :

1 ــ افراط المسلمين في التسامح والمطـــوم أن شرط التسامح هو أن لا يكون الا منطلقا من مركز الحق والقوة لا من مركز الذل والخذلان ٠

2 ــ انحراف بعض المسلمين وميلهـــم الى الشهوات الدنياوية على حساب الآخرين ومستقبلهم ٠

3 ــ البرامج التربوية والتعليمية التي أبقت فراغـــا عمدا في ذهن الشباب وأحجمت عن تفسير الاسلام بالعلم ومسايرة العصر الحديث فقطعت الشباب عن الاصالـــة الاسلامية وقادته الى الانحراف وأبقت ثغـــرة في نفسه يراد حشوها بالفساد والتفكيك والفتنة ٠

وقد قـــال تعـــالى :

« يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ » 8/61

---

* بعد ذكر كل آية نكتب بين قوسين اولا رقم السورة ثم رقم الآيـــة .

وأملي بهذا الكتاب المشاركة باذن اللـــه في صد هـــذه الأمواج والتيارات والهجومات الرجعية التي يراد بها أن يرجع الانسان الى عصور الوثنية والظلام وأملي أيضـــا المشاركة باذن الله في اشعاع نور الله الذي هو نور العلم والتقدم والازدهار الأزلي منطلقا من كتاب مفصل باحكام لا يحده مكان ولا زمان وهو القرآن الكريم ٠

ولذلك فاننا سنبين باذن الله في القسم الأول من هـــذا الكتـــاب أن الاسلام لا يتنـــافى مع العلم الحـــديث وان الاسلام والعلم ينطلقان من قاعدة فكريـــة واحدة وهـــي الايمان بالله الواحد مدبر هذا الكون ومسيره ٠

وفي القسم الثاني سنبين باذن اللـــه أن القرآن كتاب علم مثلما هو كتاب لغـــة وبلاغة لا انه معجم لغـــوي أو بلاغي أي أنه لا يحتوي على قواعد اللغـــة ولا قواعـــد البلاغة ولكنه مستوحى من روح اللغة والبلاغة كذلك فانه كتاب علم أيضا وذلك لا لأنـــه معجم علمي ولا يحتـــوي أيضا على قواعد العلم وقوانينه بل هو مستوحى من روح العلم وجوهره أيضا ٠

★

٢ـ الإسلام دين علم

« وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ » ـ 255/2 ـ

ـ ان الاسلام والعلم ينطلقان سواسية من نفس القاعدة وهي الشهادة ـ

1 ـ العِـلم
2 ـ التقـنيـة
3 ـ مبـدأ التطوّر
4 ـ إلى الله
5 ـ العِلم بلا دين أعرج والدّين بلا علم أعمى
6 ـ الشهـادة منطـلق العِـلم
7 ـ الغـيب لله وَحـده
8 ـ إلى الله تـرجع الامـور
9 ـ لا عِـلم لنـا إلا مـا علمتنـا
10 ـ الخـلق للّـه وَحـده

*

أطلق على عصرنا اسم « عصر العلم والتقنية » وقد فاز فيه العلم والتقنية بمكانة عظيمة في نفوس البشر وفي المجتمعات البشرية حتى كادا يكونان مقدسين وعنوان عبادة وقد أصبح الكثير يتصور أن العلم والتقنية من ناحية والدين من ناحية أخرى متناقضان ومتضاربان ويعتقد أيضا أنه ينبغي على الانسان أن يترك الايمان بالله للوصول الى التقدم العلمي والتقني ومن ذلك لتحقيق « الانطلاقة » الاقتصادية التي يعتبرها النجاح الأساسي والهدف النهائي .

فالتاريخ يبين أن أمما كثيرة أحرزت في الماضى وفي الحاضر على الانطلاقة المنشودة بدون نبذ أصالتها بما في ذلك الدين فلم تبرز الحضارة الاسلامية العربية في العهد الأول للاسلام ولم ترتق الا بفضل الدين الاسلامى ولم تتقدم أمم كثيرة اليوم الا لأنها حافظت على لغتها *

---

* لمزيد من التعمق في هذا المضمار راجع المقالات التي نشرت لي في جريدة الصباح التونسية سنة 1971 ومقالات مجلة « العلم والايمان » في هذا الموضوع وجريدة « لومند » الفرنسية صفحة 2 يوم 15 — 16 أفريل 1979 .

وأصالتها بما في ذلك دينهـــا • فنحن الآن لا ندرس كيف تسربت بعض المفـــاهيم المخطئـــة في مجتمعنا الاسلامي المعاصر ولكن نحاول أن نكتشف الحقيقة بفضل تحليـــل هذه المفاهيم • فما هو العلم ؟ وما هي التقنية ؟ وما هي أهم مبادىء التفكير العلمي والبحث العلمي ؟ وما هـــو أسلوب البحث العلمي ؟

★

1- العِلْمُ

« وَعَلَّمَكَ مَالَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا» 113/4

- انه دراسة تطور الانظمة والبحث عن الثوابت
والمستقرات خلال هذا التطور.

ان العلـــم هو دراسة تطور الانظمـــة والبحث عـــن الثوابت والمستقرات خلال هذا التطور

والتطـــور هو تغير حالة النظام الظاهرة خلال الزمان اذ يوجد في النظام ما لا يدركه العقل والحس

والنظـــام هو كل ما نستطيع عزلـــه عن باقي الكـــون بدون أن يتفاعل معه أي شيء فالذرة مثلا نظام وكذلك الخلية وحجم هواء هو أيضا نظام والجسم نظام والأرض نظام والنظام الشمسي نظام والكون كله نظام •

وخلال تطور النظام يتغير العديد من العوامل المرتبطة به وبعض هـــذه العوامل لا تتغير أي أنهـــا تبقى ثابتـــة مستقرة فنطلق عليها مصطلح الثوابت والمستقرات

فاذا اعتبرنا بيتا مثلا كنظام فهو يبقى بيتا رغما عـــن تغيير ألوان جدرانه أو شكل أبوابه ونوافذه وغير ذلـــك من مكوناته • ولكن البيت يزول اذا فقد سارياته وجدرانه اذ أن سقفـــه يسقط فالساريات والجدران هي الثـــوابت والمستقرات في البيت •

والأرض مثلا تدور بسرعة ثابتة ومحورها ثابت ومنحن حسب زاوية ثابتة وشكلها ثابت وكثافتها ثابتة .... وكل هذه الثوابت تضبط النظام فاذا قلنا مثلا انه يوجد في الكون نظام هو جرم سماوي يتحرك بسرعة كذا ومحوره كذا وشكله كذا .... يستطيع أي كان أن يقول ان هذا النظام هو الأرض فالثوابت والمستقرات تعرف اذن النظام .

وحسب الانظمة التي نعتبرها والثوابت والمستقرات التي نبحث عنها نقسم العلم الى فروع فاذا اعتبرنا الارض موضوع دراستنا فيكون فرع العلم هذا هو علم الأرض واما اذا درسنا ثابتا من ثوابت الارض مثلا كثافتها أو المادة التي تتركب منها فيكون فرع العلم الذي ندرسه هو علم العدانة .... وهكذا ينقسم العلم الى فروع متعددة من فيزيا وكيميا وعلم حياة ورياضيات وتاريخ وجغرافيا وعلوم اقتصادية وعلوم سياسية وعلوم اجتماعية الخ .... حسب الانظمة التي نعتبرها وحسب الثوابت والمستقرات التي نبحث عنها .

★

2 ـ التقنية

« وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ
وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ » ـ 103 ـ

ـ فهي تطبيق معلومات بفضل عمل متواصل
لانجاز مشاريع معينة .

واما التقنية أي المهـارة فهي تطبيق معلومات بعمـل متواصل لانجاز مشاريع معينة

فقوام التقنيـة العمل والاجتهاد والتقنية كالفـن أو الاخلاق تعتبر جزءا من عبقرية المجتمع البشري • فهـي على خلاف الأجهـزة والمعدات لا تستورد ولكنها تنشـأ وتتطور متأصلة في المجتمع الذي يمدها بالقوة اللازمة •

فالطاقة مثلا في مختلف أشكالها قابلة للتفاوض والتبادل وصالحة للنقل والتحويل ولكن ليس الأمر كذلك أبدا فيما يخص التقنية ، فالعلم يتنقل أيضا ولكن التقنية لا تتنقل أبدا من مجتمع الى مجتمع آخر اذ أنها مقامة على العمل الصالح البناء في مجتمع معين •

لقد طغت التقنيـة على الانسانية وأصبـح الانسان منزعجا من نتائجها المهولة مثل القنبلة الذريـة والنزول على سطح القمر ومحاولة غزو الفضاء الى أبعد الابعـاد وكذلك الغوص في أعماق البحـار وتبديل قلـوب البشر وزرعها من انسان الى آخر وتأخير ساعة الأجل حتى أن

بعضهم يقول : « انه لم يبق للتقنية سوى كيفية ازالة الموت » .

فمنذ العصور الاولى صنع الانسان القوس والرمح وفي العصر الحديث صنع القنبلة الذرية ، وان الذي اخترع القوس والرمح لا يعلم شيئا عن الخلايا التي يتركب منها الخشب والجلد المستعملين في القوس ولا يعلم ما الذي يجعل الخشب مرنا وصلبا وما الذي يجعل الجلد متمغطا وقويا فان التجربة اليومية الناتجة عن العمل المتواصل هي التي مكنت الانسان من معلومات بدون علم عن هذه الخاصيات .

وكذلك لا نعلم اليوم سوى الشيء القليل النادر عن المجال النووي والذرة وأصل الطاقة الكامنة فيها والتي تسمى بالطاقة الذرية ورغما عن جهلنا هذا فاننا قد اكتسبنا معلومات بفضل عملنا اليومي المتواصل أدى بنا الى صنع القنابل الذرية هذه المفرقعات الجهنمية . هكذا يكون قوام التقنية هو العمل المتواصل والكد والاجتهاد كي يعيش الانسان حياة سعيدة في الدنيا ويسجل الخير لليوم الآخر .

واذا كان العلم دائما اعلاءا لمنزلة الانسان وترقية لنفسه فان التقنية تختلف عن ذلك لأن الانسان يستطيع أن يوجهها اما الى الخير واما الى الشر أي اما الى البناء

وهو العمل الصالـــح واما الى الخـــراب وهو من عمـــل الشيطان • فمعلومات الطاقة الذرية مثلا تكون موجهـــة تقنيا اما لصنع المفاعلات الذرية المولدة للطاقة اللازمـــة لازدهار البشرية واما موجهـــة لصنع المفرقعات الذريـــة الجهنمية لتدمير البشرية ومحقها •

ولكن عمل الخير وهو العمل الصالح لا يكون الا بعـــد أن يقع تحرير الانسان من عبوديـــة الاشياء الدنياويـــة الزائلة حية كانت أم جامدة ومادية كانت أم معنويـــة وكذلك بعد أن تتحقق العدالة الاجتماعية بين البشر •

فقد حرر الاسلام البشر من عبودية كل شيء في الدنيا وجعل البشر اخوانـــا متساوين أي أن الحريـــة والعدالة متوفرتان للمسلم كي يعمل عملا صالحا وهذا هو أساس التقنية التي تحققت فعلا في العصور الاولى للاسلام •

★

3 ـ مَبْدأ التطـوّر

«لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» ـ 28/88 ـ

ـ كل نظام في الكون لا يتطوّر إلا من حالة منظمة إلى حالة أقل تنظيم

ان قوام العلم هو دراسة تطور الانظمة والبحث عن الثوابت والمستقرات خلال هذا التطور ولكن هذا التطور في الكون لا يقع الا حسب قواعد وقوانين من أهمها مبدأ « كلوزيوس ــ كارنو » الذي يسمى مبدأ التطور وهو ينص على أن : « كل نظام في الكون لا يتطور الا من حالة منظمة الى حالة أقل تنظيم ومتدهورة ثم هالكة » .

فتكون اذن الثوابت والمستقرات في الانظمة الكونية ثابتة ومستقرة نسبيا والى حين .

فثوابت الارض مثلا تتغير وتصبح الارض غير الارض الحالية ثم تزول اذ لا يوجد في الكون أي شيء خالد ولا اية حركة خالدة ولا أى ثابت خالد حسب هذا المبدأ العلمي الأساسي وهكذا فان جميع الأنظمة التي يتصورها الانسان في الدنيا لا تتطور الا الى الهلاك .

ولكن اذا كان لا يوجد الثبات ولا الاستقرار ولا الدوام ولا الخلود في هذا الكون فكيف عرف الانسان معنى الثبات والاستقرار والدوام والخلود حتى أصبح يفتش عنها خلال نشاطه العلمى ؟ ذلك أن الباحث العلمى قبل أن يبدأ نشاطه العلمي يؤمن بوجود كل هذه المعاني

بصفة مطلقة لا في الكون المادي المحيط به بل في مجال لا يستطيع العقل ادراكه •

وكل هذه المعاني كماليات وهي في الحقيقة الصفات التي يعرف بها الاله في الدين الاسلامي كما ورد ذلك في آية الكرسي في القرآن الكريم . الله ؟ من الله ؟ :

« ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ » - 255/2 -

فان العالم في القرن العشرين أي في عصر العلم يؤمن بوجود الله حسب مفهوم القرآن للاله وهذا الايمان هو المبدأ الأساسي الذي منه ينطلق العالم في بحثه العلمي•

هكذا فان الاسلام والعلم ينبثقان سواسية من الكمال والاطلاق

4- إلى الله

« شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ». - 3/18 -

" إن الدين والعلم يقاتلان معًا في معركة مشتركة ضد الشك والجمود والخرافة. "

لنضرب مثالا في العلم المعاصر فاذا اعتبرنا نظرية ميكانيك الكم والنظرية النسبية وهما من أهم النظريات العلمية المعاصرة مقامتان على تفكير علمي بحت وجدناهما قد أسستا بفضل مبدا الايمان بالله .

وموضوع دراسة هاتين النظريتين هو الضوء الذي اكتشفه حسن بن الهيثم * في القرن العاشر الميلادي فان العالم العربي المسلم حسن بن الهثيم هو الذي اكتشف أن الضوء يأتي من الاشياء الى العين لتبصرها لا العكس كما ادعى الناس قبله قائلين بأن مائعا يخرج من العين ليلمس الأشياء لمسا يشبه لمس اليد . فكانت ثورة علمية ما زلنا نتمتع اليوم بثمراتها العلمية اذ أدخل في العلم مفهوما جديدا وهو الشعاع بعدما كان الانسان لا يعرف شيئا سوى المادة ومنه ظهر مفهوم آخر : المجال .

واكتشف ابن الهيثم القانونين : الاول والثاني لانعكاس الضوء وانكساره ستة قرون قبل « ديكارت » الفرنسي وقد أقام نظرية الضوء الكروي وتفاعله مع المادة وذلك عشرة قرون قبل آينشتاين وأفكار حسن بن

* حسن بن الهيثم : مصطفى نظيف بك (مصر)

الهيثم في الضوء والمادة لم يغيرها العلم الحديث قط بل استغلها وبنى عليها كي يتقدم في هذا الميدان العلمـــي • وفي القرن التاسع عشر اكتشف ماكسوال الانقليزي سنة 1873م المعادلات التي تعرف باسمه والتى حسبها يتطور الضوء وما هذا الضوء الا تغيرات المجال الكهرطيسي •

ولما درس ماكس بلانك الألماني سنـــة 1900م الشعاع المنبثق من الاشياء في درجة حرارية معينة لاحظ أن الطاقة غير محفوظة في ميدان الامواج الكهرطيسية القصيرة •

ولكن ينبغي عليـــه المحافظة على المبـــادىء العلميـــة الاساسية : وحدة الحقيقة ووحدة المبادىء العلميـــة في جميع الميادين •••• فافترض لذلك « ماكس بلانك » أن الطاقة غير متواصلة في ميدان الامواج القصيرة أي أنها تظهـــر في شكل قسيمـــات فأقام نظريـــة ميكانيك الكـــم المعروفة •

وقد نشأت هذه النظرية من خلال ايمان ماكس بلانك بتوحيد الحقيقة المرتكزة على الايمان بوجود الله الواحد كما قال * : « ان الدين والعلم يقاتلان معا في معركـــة مشتركة ضد الشك والجحود والخرافة وقد كانت الصيحة الجامعة في هذه الحرب وسوف تكون دائما : الى الله • »

---

* اللـــه يتجلى في عصر العلـــم : جون كلوفـــر مونسمـــا (القاهـــرة) .

5 ـ العِلْمُ بلَا دين أَعرج
وَالدّين بلَا علم أعْمَى

« إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا »
— 28/35 —

« الدين دواء والعلم غذاء »

وقد لاحظ « آينشتاين » في نفس السنة أن معادلات ماكسوال المذكورة لا تستقر في مكـان متحرك • ولكـن ايمانه بوجود اله واحد وعلم واحد وحكمة واحدة قـاده الى الاعتقاد بأن القوانين الطبيعية يجب أن تكون ثابتـة ومستقرة في كل مكـان وزمان والا فهي ليست قوانيـن علمية •

فوجد أن القاعدة التي تخضع لها معادلات «ماكسوال» في مكان متحرك هي قاعدة لورنتز التي ينشأ عنها مبـدأ آينشتاين القائل بأنه « لا يوجد في الكون تطور مطلق » أو طبقا للميكـانيك « لا توجد في الكون حركة مطلقـة » وهذا مستوحى من الايمان بوجود الالـه الثابت المستقر الخالد الذي « اليه يرجع الأمر كله » • فيكون هو المرجع لكل تطور ولكل حركة •

ويقول آينشتاين * : « يبحث الانسان عـن سبيلـه

---

* كل ما ذكره آينشتاين يوجد في :
-- L'Evolution des idées en physique : A. Einstein et L. Infeld
-- Conceptions scientifiques morales et soliales : A. Einstein
— A. Einstein : Hilaire Cuny.

عبر شبكة الحوادث الطبيعية بالاستعانة بالنظريات العلمية فهو يحاول أن يرتب كل ما يشعر به في الدنيا حتى يفهم الكون ولا يوجد علم بلا ايمان بأننا نستطيع أن ندرك الواقع بفضل نظرياتنا وبلا ايمان بوجود حكمة في الكون أيضا •

وان هذا الايمان يبقى دائما وأبدا السبب الاساسي لكل اكتشاف علمي واننا نعترف عبر مجهوداتنا كلها والمعارك بين تصوراتنا العلمية بعضها ببعض القديمة منها والحديثة تصوراتنا بطموحنا الدائم للفهم وللايمان الكامل الدائم بحكمة هذا الكون، هذا الايمان الذي تقويه دائما الصعوبات التي تعترضنا • »

ويقول أيضا : « ان التجربة الدينية للكون أفضل وأقوى من كل ما يتفجر من أعماق البحوث العلمية والذي لا يفهم المجهودات الجبارة والثقة بالنفس التي من دونها لا يكتشف شيء جديد في التفكير العلمي فهو لا يستطيع أن يقدر قوة الشعور الذي ينشأ من خلال هذا العمل العلمي البعيد عن الحياة اليومية المباشرة • ولا بد أنه يوجد عند كيبلير ونيوتن مثلا ايمان عميق بحكمة نظام الكون وارادة قوية لفهمه وحتى لو لم يكن هذا الفهم الا شعاعا ضئيلا من الحكمة المنزلة في الدنيا • »

ويقول أيضـــا : « ان العلم لا يستطيع أبدا أن ينفي بجد وجود الالـــه الواحد الذي يقدر جميع الحـــوادث الطبيعية . »

ويقول أيضا : « والعلم لا يكتشف الا من طرف مـــن هو متشبع جدا بطموح معرفة الحقيقة بتمامها وانما هذا الشعور مستمد من الدين ومن الدين أيضا يظهر الايمان بأن القواعد المطبقة في عالمنا هذا منطقية أي ان العقـــل يدركها واني لا أتصور عالما لا يملك هذا الايمان العميـــق واني أعبر عن الحالة تلك بهاته الصورة : العلم بلا دين أعرج والدين بلا علم أعمى . »

وهذا ما عبر عنه الامام الغزالي بقوله : « الدين دواء والعلم غذاء وليس الدواء بمغن عن الغذاء ولا الغـــذاء بمغن عن الدواء . »

وكذلك قال الامام القاضى أبو الوليد محمد بن رشد في كتابه « مناهج الادلة » * في سنة 575 هـ أي في القرن الثـــاني عشر المسيحي : « ولذلك وجب على من أراد أن يعرف الله تعالى المعرفة التامة أن يفحص عن منافع جميع الموجودات . »

* كتب ديكارت الفيلسوف الفرنسي كتابا في القرن السابع عشر بعنوان « ادلة المنهج » .

وقال ديكارت الفرنسي في كتابه « أدلة المنهج » سنة 1637م : « مهما درس أحسن المفكرين ما شاؤوا فاني أعتقد أنهم لا يستطيعون أن يرفعوا الشك الا اذا افترضوا وجود الله . ولذلك اتخذت قاعدة وهي أن الاشياء التي نفهمها بوضوح وبيان لا تكون حقيقتها كلها مضمونة الا لان الله موجود ولانه كائن كامل وكل ما هو فينا يصدر منه فمن ذلك نستنتج أن أفكارنا ومفاهيمنا التى هي موجودة وصادرة من الله كليا بما فيها وضوحها وبيانها لا تكون الا حقيقية . »

هكذا يتضح خلال هذا المثال البسيط الذي يخص الضوء أن الموقف الفكري هو نفس الموقف عند العربي المسلم حسن بن الهيثم والألماني البار آينشتاين وذلك من القرن العاشر الهجري أي من القرون الوسطى وهي قرون ازدهار العرب حتى القرن العشرين أي القرن المعاصر وهو قرن ازدهار الغرب وهذا الموقف الفكري هو : الايمان بوجود الله الذي لا الاه الا هو وهو منطلق كل بحث علمي .

وهذا صحيح بالنسبة لأي عمل علمي في كل الميادين والفروع العلمية : العلوم الصحيحة والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية والعلوم السياسية والعلوم الاقتصادية وغيرها ....

وكلما حاولنا أن نفسر الاشياء والحوادث ماديا وأن

نفهمها من الناحية المادية فحسب الا ووجب علينا تطبيق كل قوانين المـادة • واذا سلمنا بأننا نستطيع أن نفسر كل شيء ماديا فان علم المـادة نفسه لا يعتبر اليوم حل المشاكل كاملا الا اذا نظرنا اليها من وجهتيها الاولى وهي المادية البحتة أي مرتبطة بالمكان والزمان والثانية وهـي الاشعاعية أي لا مكان لها ولا زمان •

فالفيزيا مثلا التي هي علم المادة البحتـة أصبحت في هذا القرن تعالـج المشاكل من زاويتين : الاولى وهـي الاعتبار المادي البحت للاشياء الكونية وتفاعلاتها والثانية وهي الاعتبار الموجي أو الاشعاعي •

ففي الناحية الاولى يعتبر النظام محدودا في المكـان والزمان ولكن لا يعرف الكثير عن طاقته الكامنة مثلا وفي الناحية الثانية يعتبر النظام كمجموعة من الامواج بدون تحديد في المكان والزمان لانهـا توجـد فيها كلها ولكـن طاقتها محدودة ومضبوطة •

والاسلام يعالج المشاكل بنفس هذا الاسلـوب اذ أن الله تعالى قال :

« وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا » — 77/28 —

والإسلام يعلّم الإنسان دائما : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ولآخرتك كأنك تموت عدا » • فهو يهتم بالمشاكل الحالية اليومية التي تعد بالدقيقة واللحظة بقدر ما يهتم بما بعد الدنيا وبمصير الانسان في الآخرة التي لا تعرف المكان والزمان •

فاذا كانت مخططات النشاطات البشرية المادية تدعى بالخماسي أو العشري فان المخطط الاسلامي يومي وأبدي معا أي للدنيا وللآخرة معا • فينتج عن ذلك مجتمع اسلامي معتدل ومتزن لا هو مجتمع استهلاك مثل ما وصل اليه العديد من المجتمعات المادية ولا هو مجتمع حرمان مثل ما توصي به كثير من الأديان المتنسكة •

ان الاسلام دين الاعتدال والاتزان وهو ليس الاستسلام بل دين العلم والعمل والجهاد والاجتهاد فهو ثورة مستمرة وحركة لا تعرف سكونا •

★

6 ـ الشهادة منطلق العلم

"وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا" 2 / 31 -

ـ لا يوجد في الدنيا لا ثبات ولا استقرار ولا دوام ولا خلود .

وقد انبثق العلم من الحضارة الاسلامية العربيـــة اذ أن الحضارات التي سبقتها كانت تمارس « العلوم » •

فاليونانيون مثلا كانت لهم « علوم » وكانت الحقيقـــة عندهم متعددة حسب تعـــدد آلهتهم ومعتقداتهم فنشأت من ذلك تناقضات واحتكـــار وعنصرية للحقيقـــة فيكتب افلاطون مثلا على باب مدرسته : « ان لم تكن هندسيـــا فلا تدخل علينا • »

وأما في الاسلام فيؤمن العالم بوجود الاله في الفرض الاول بان « أشهد أن لا اله الا اللـــه » • فعندئذ تصبح الحقيقة واحدة والعلـــم يشمل الكـــل لا تعدد فيـــه ولا اختلاف •

وقد بينا أن معاني الدوام والخلود التي توجد في آية الكرسي في القرآن هي موضوع بحث العالم وان مبـــدأ التطور منصوص عليـــه في القرآن بصفة ايجابيـــة اذ أن مبدا التطور يقول : انه لا يوجد في الكون لا ثبـــات ولا استقرار ولا دوام ولا خلـــود ولكن القـــرآن ينص على نفس الشيء بصفة ايجابية فيقول من الذي يشمل الثبات والاستقرار والدوام والخلود وهو الله لا اله الا هو وذلك

في قوله تعالى :

«كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» 55/26-27

وفي قولـه أيضا :

« لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» 88/28

فيكون القرآن كلام اللـه ومحمد رسوله اذ انه هـو الذى بلغ هذا الكلام وأصبح الجزء الثـاني من الشهادة متحتما فالشهادة تعبـر اذن عن الايمان بالمبدا الاساسي للعلم المعاصر الذي يبحث عنه العالـم في مخبره العظيم الذي هو الكون كله والشهادة هي : « أشهد أن لا الاه الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله • »

فكانت الشهادة في الاسلام الاساس لتوحيد العلـوم كلها وكان « العلم » المقام على الشهادة يتفرع عن ايمان المسلم ويندمج في عبادته للاله الواحد والمسجد هو المكان المقدس الذي يعبد فيه المؤمن الاله وفي نفس الوقت هو الذي يتعاطى فيه العلم وما الجامعات والمخابر العصرية الا معابد للعالم الحقيقي •

يقـول حسن فتح البـاب في كتابـه « على طريـق

الهجرة » : « ومن آيات الاسلام في تكريم العلم والعلماء أن جعل من بيوت الله المقدسة مدارس للتعليم دلالة على قدسية العلم وكرامة المشتغلين به من علماء ومتعلمين ودلالة أيضا على ادراك قيمة العلم في تثبيت العقيدة والاتصال بالله ودوره الكبير في تعميق وعي الفرد والجماعة بشؤون الدين والدنيا رفعا لمستوى الانسان واعلاءا لشأن المجتمع فليس أشرف من المسجد مكانا للعلم ولا أدعى الى الترغيب في تحصيل المعرفة من جعله منزلا لها كما أن التعليم في المساجد من شأنه أن يوسع قاعدة المتعلمين اذ يغشى جميع المسلمين بيوت الله لأداء الفريضة وبحث شؤون دينهم ودنياهم .

ولم تعرف البشرية في تاريخها الطويل أديانا أو مذاهب اصلاحية اتخذت من دور العبادة مدارس للمكافحين والمدافعين عن الحق والمضحين في سبيل الله والوطن والعقيدة مثلما جعل الاسلام من بيوت الله موائد للعلم والفكر والتحرر ولا غرو فالاسلام دين ودولة وهو عقيدة وثورة ترمي الى صلاح الفرد وصلاح المجتمع معا وهو رسالة هدى للعالم بأسره . »

وما زال التاريخ لم يضبط حتى الآن الدور الذي قامت به المساجد في تطور الحضارة الانسانية كجامع القيروان وجامع العبيديين في المهدية وجامع الزيتونة في تونس وجامع الأمويين في دمشق وجامع الازهر في القاهرة

ومساجد الاندلس وسائر المساجد في العالم •

وكتبت « زقريد هونكى » الألمانية في كتابهـا « شمس الله تسطع على الغرب » :

« وحول أعمـدة الجامع كان يجلس الاستـاذ ويلتف حوله طلبة في حلقة أبوابها مفتوحة لمن يشاء رجلا كان أم امرأة ولكل الحق في سؤال الاستاذ أو مقاطعته معارضـا وكان هذا النظام أكبـر دافع للأساتذة يدفعهم دائمـا للاعداد المتقن لدروسهم والتعمق فيهـا • حقا لقد كـان لاي متعلم الحق في أن يلقي ما شـاء من محاضرات وأن يتخذ مجلس الاستاذ ولكن الجمهور المثقف الواعي بنقده الدائم ويقظته كان يحمي تلك المجالس من أن يتسرب الى قيادتها مدعي علم أو من لم تتضح ثقافته وتكتمل •

وحول أعمـدة المساجد أتيحت للطالب دائما فرصـة الاستماع الى الأساتذة الزائريـن من كل أنحاء العالـم العربي المترامي الاطراف فلقد كان المتعلمون في طريقهم السنوي الى مكة لاداء فريضة الحج يغتنمون الفرصـة فيزورون مراكز الثقافة الاسلامية الواقعة على مقربة من طريقهم •

فيستمعون لكبار الاساتذة في دمشق أو في بغداد ومن أئمة العلماء من زار القيروان أو الجامع الازهر بالقاهرة

أو الزيتونـــة بتونس ليلقي ثمة المحاضرات سواءا كـــان هؤلاء العلماء في طريقهم الى الحج أو مسافرين خصيصا لهذا الغرض يجوبون أنحاء العالم الاسلامي من سواحل بحر قزويـــن الى سواحل الأطلسي ومنهـــم المؤرخـــون والجغرافيون ومنهم علماء الحيوان والنبـــات والباحثون عن تراث الأدب القديم وهم جميعا في حلهم وترحالهـــم يفيدون ويستفيدون ومن شفـــاه هؤلاء وأولائك كـــانت الافكار العلمية الحديثة تنتشر في كل صوب فما در اليوم في البصرة أو بغداد تحملـــه الى القاهرة أو قرطبة غـــدا الانباء حين لم يكن هناك صحف أو بريد . »

ولكن المسجد الكبير للمؤمن هو الكون كله الذي يستمد منه العالم علمه وكل ما في الكون يسبح لله .

« تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ »
44/17

«سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ» 1/57

وينشد الاسلام الحرية المطلقة للبشر اذ « لا اكراه في الدين » و « لا رهبانية في الاسلام » و « لا لغير الله على الانسان سلطان . »

وينشد الاسلام العدالة المطلقة اذ « لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى » وينشد الاسلام السلام المطلق والاخاء الدائم « انما المؤمنون اخوة » و « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه . »

هذا هو الاساس المتين الذي لا تناقض فيه والذي يحتوي على ايجابية وحركية فعالة نستطيع أن نركز عليها ثورتنا الحضارية الحديثة .

فالشهادة هي الركن الاساسي للتفكير العلمي الحديث :

« شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ

-18 / 3-

★

7 ـ ٱلْغَيْبُ للهِ وَحْدَهُ

« عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ » ـ 73/6 ـ

ـ ان الانسان مسير في أعماله ومخير في شكلها
خيرًا كانت أو شرًّا .

لقد بينـــا أن العلم هو دراسة تطور الانظمة والبحث عن الثوابت والمستقرات خلال هذا التطور •

ويعتقد الانسان أن الظفر بهـــذه الثوابت والمستقرات يمكنه من معرفة الطبيعة وضبطها ضبطا محكما فيستطيع بهذا أن يفهم الكون •

وهو يسعى أيضا أن يدرك كيفية تطور الانظمة ليتنبـــأ بمصيرها معتقدا أنـــه يستطيع بذلك التأثيـــر في تطـــور الانظمة والتحكم فيهـــا والسيطرة عليها ليصبـــح سيـــد الكون ومدبره •

هذا يتبادر الى ذهن الكثيرين ولكن أين نحن من واقع الأمر ؟

فاذا أردنا أن نعلم شيئا عن تطور نظام ما يجب علينا أن نجد « قانون حالة » النظام والمعلوم أنه ليس ممكنا في جميع الظروف •

وصـغة هذا القانون تكون عادة في شكل معادلة تفاضلية أو تكاملية أو تفاضلية ــ تكاملية تربط بعض عوامل النظام بالزمن ولا امكـــان لحل هذه المعادلة الا اذا استطعنا أن نقدر قيمة كل عوامل النظام في وقت مـــا حاضرا كان أو ماضيا •

وهذا ما لا يستطيع الانسان ادراكه كما ينص عليه العلم المعاصر فلنضرب أمثلة في العالم المجهري وفي العالم الكوني •

انه يوجد مبدأ علمي ينطبق على كل الأنظمة المجهرية يطلق عليه اسم « مبدأ غير الثبات لهايزنبارق » وهو اننا لا نستطيع أن نعرف العوامل التي تضبط النظام في وقت ما بدون أن نسلم من الوقوع في خطأ تقدر قيمته بكمية تسمى « ثابتة بلانك » وهذه الثابتة حقيرة بالنسبة للقياس الانساني ولكنها هامة بالنسبة للقياس المجهري •

وهذا كاف كي نعتبر في النظام قوانين خارقة للأصول الاساسية للعلم وهو يفتح الباب ويبقيه مفتوحا مدة كافية كي نفترض احتمال المداخلة الروحية في كل حالات النظام •

واذا كان الانسان لا يستطيع ادراك قيمة العوامل المرتبطة بالنظام في وقت ما فهو لا يستطيع اذن أن يجد حل معادلات « قانون حالة » النظام ولا يعرف اذن شيئا عن تطور النظام ولا عن مستقبله •

وهكذا علم الغيب خارج عن نطاق ادراك الانسان وانما هو من مشمولات ذلك الذى يؤمن به العالم ويسلم له أنه الثابت الخالد المستقر أي الله الحي القيوم الذي

ليس تحت حكم الزمـن فلا يستطيع الانسان أن يؤثـر في تطور نظام ما والتطور ليس بيده بمـا في ذلك تطوره هو وحياته •

وبهذا نعتبـر أن مشكلة القضاء والقدر قـد اتضحت بفضل العلم الحديث وتبين لنـا أنها نتيجة منطقيـة لا قضية غامضة •

واذا اعتبرنا نظـاما في القياس الانساني أو القيـاس الكوني فاننا نعلم أنه متركب من أنظمة مجهرية وكل مـا ينطبق على الانظمة المجهريـة ينطبق أيضا على العـالم الانساني والعالم الكوني مع العلم أن الاخطاء الحاصلة بالنسبة الى الأجزاء المكونة لنظام ما تجمع بعضها مـع بعض ولا تطرح أبدا بعضها مـن بعض فلنذكر ذلك في العالم الكوني لتدعيم حقيقة هذه النتيجة •

اذا اعتبرنا في السماء أقرب نجم الينا بعـد الشمس نجد أن هذا النجم هو سنتورا بروكسيما وهو يبعد عنـا أربع سنوات ضوئية ونصف سنـة ضوئية تقريبا وهذا يعنـي أن الضوء يصـل الينـا مـن هذا النجم بسرعة 300000 كيلومتـر في الثانية بعد أربـع سنوات ونصف سنة • فاذا نظرنا في وقت ما الى هـذا النجم وأبصرناه تكون قد انقضت حينما يصل الينا ضوؤه أربـع سنوات ونصف سنة يجري خلالها هـذا النجم الى مكان آخـر

ويتطور وربما تغيـــر أو اضمحل تماما وهذا ما يدل على أننا لا نستطيع أن نعلم من أمر هذا النجم شيئا في وقت مـــا معين ونتيجة ذلـــك أننا لا نستطيع أن نجـــد حـــل معادلات « قانون الحالة » لهذا النجم •

ولذلك أقسم الالـــه سبحانه وتعالى بمواقع النجـــوم وقـــال :

« فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ » - 56/75 76 78 79 -

هذا القسم عظيم فعـــلا لأننا لا نستطيع ولن نستطيع أبدا أن نعرف لا مواقع النجوم فحسب بل مواقع كل ما في الدنيا لأننـــا في خلقتنا نحن بشر تحت حكم الزمـــان والمكان ولا يستطيع أن يعلم ذلك الا من ليس تحت حكم الزمان والمكان الله الذي هو في كل زمان وفي كل مكان •

وقد قال الله سبحانه وتعالى :

« وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ » 41/12

أي ما نـــراه في السماء ليس موجودا فيها كما يظهر لنـــا وهذا هو المعنى الذي يستنتج من التحليل السابق •

هكـذا لا نعرف شيئا عـن المستقبل ولا نستطيع أن نتحكم في تطور الأنظمة بما في ذلك النظام البشري وهو الانسان ويتضح لنا اذن أن الانسان مسير ولكنه أيضـا مخير أي أنه يتحكم في الزمن الحاضر الذي يعيش فيـه فيستطيع أن يكيف أفعاله خيرا أم شرا في الوقت الـذي ينجز فيه تلك الأفعال :

« فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ » 99 / 7-8

« وانما الاعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى » لا مـا فعـل .

فيكون الانسان مسيرا في أفعالـه ومخيرا في شكلهـا خيرا كانت أم شرا ولا يحاسب الا على نيته في الافعـال

وهذه هي العدالة الالهية المطلقة التي لا يستطيع الانسان تحقيقها في الدنيـا والتي يسعى اليها القضـاة المسلمون ولذلك كان ويكون التشريع الاسلامي دائما تشريعا مطلقا يقتدى به وقد قال الله تعالى :

« إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ » -6 / 57-

وهناك مـن المخلوقات ما لا تعرف سوى الخير ومنها الملائكة وهناك مخلوقات أخرى لا تعرف سوى الشر ومنها الشيطان وأما الانسان فقد خلقه اللـه مخيرا للخير أو الشر في كل أعماله التي لا يتحكم فيها •

وكيف يستطيع أن يتحكم في أعمالـه الخارجية وهو لا يستطيع أن يتحكم مثـلا في أعماله الباطنيـة وهي كمـا سنبينه في فصل « الحياة » كلها مكتوبـة حسب برنامج محكم في موروثاته بكتابة محفوظة لا تمس حتى لا تتغيـر ولا تطبق الا بفضل نسخ تستخرج منها •

فمن أعماله الباطنية مثلا التنفس ومـزج الاكسيجين بالـدم ونقله فيه ودوران الـدم وعملية الهضم وخلـق البنية بكل ما تختص به وعملية الادراك بالحس وبالعقل فكل هذه العمليات باطنية يعلم الانسان علما يقينا أنه لا يتحكم فيها ولو فرضنا أنه أصبح يوما ما متحكما فيها لما جن لكثـرة المسؤوليات فيها واختـار أن يموت على أن يحيى • فكيف اذن وهو مسير في أعمالـه الباطنية التي تهمه بصفة مباشرة يكون مخيرا في أعماله الخارجية ؟

ان الانسان مسير في أعمالـه ومخير في شكلها خيـرا كانت أو شرا ولذلك نقول : ان الانسان مسير ومخير في نفس الوقت •

وكى لا يبقـى الانسان في هذا العجـز العظيم فهـو يحـاول ان يـدرس تطـور الانظمـة باستعمال حساب الاحتمالات وحساب الاحصائيات • فيتكهن بوقوع الأمور

بدون أي مبـــرر منطقي ولا مضبـــوط سوى اعتبـــارات تقريبية يعلم أن الخطأ فيها يفوق القياس المنتظر .

وقد قال الله تعالى :

« وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ » 123/11

وقال أيضـــا :

« وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ » 59 / 6

ولا يستطيع الانسان تغيير مجرى كل ما في هذا الكون اذ أنه يجهله كما بينا ذلك ولا يعرفه الا سطحيا وبصفـــة تقريبية ولا يستطيع تغيير هذا المجرى الا الذي توفرت عنده الكماليات التي يؤمـــن بها العالم أي الله عـــز وجل الذي قـــال :

« سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ » — 35 / 19 —

8 - إلى الله ترجع الأمور

« وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ » - 11 / 123 -

- كلما حول الانسان مفهومًا علميا إلى حركة إلا وانجز ثورة علمية ولكن لا توجد حركة مطلقة في الدنيا.

يدرس العلم المتغيرات وهي العوامـل التي تتغير عند تطـور الانظمة فينتـج عن ذلك أنه يبتكـر مصطلحات ومفاهيم ومعاني مجردة يعتقد عادة أنها بديهية الوجود .

فلا يوجد أي تعريف مطلق لهذه المفاهيم العلمية سوى تعريفها حسب أسلوب قديم جـدا وهو المقارنة والمقابلة فيقال مثلا : هذا يابس وهذا رطب وهذا حر وهذا بـارد مقارنة مناقضة شيء بالنسبة لشيء ثان .

كذلك لا نفهم اليـوم مباشرة ما هي المـادة الا لأنها مناقضة للمـادة النقيضة أو المقـابلة ولا نفهم ما هـي الحرارة الا لأنها نقيضة البرودة ولا نفهم ما هي الشحنة الكهربائية الا لان الموجبة منها نقيضة السالبة ....

ويعتقد العالم أن تقدم العلم يكون أساسا في اكتشاف التساوي الموجود بين هـذه المفاهيم المستحيل ادراكهـا بصفة مباشرة ومطلقة والحركة التي هـي تطور المكـان بالنسبة للزمان أي تغير الفضاء .

وهذا ما وقع فعلا لكثيـر من المفاهيم فقد استطـاع الانسان مثلا أن يحول مفهوم الحرارة الىحركة $Q. J = W$ ونتج عن ذلك امكانية تحويل الطاقة الحرارية الى طاقـة

ميكانيكية وأقيمت النظرية الحرارية وصنعت المحركات البخارية منها والنفطية .... فكانت الثورة الصناعية الأولى في القرن الثامن عشر .

واستطاع الانسان أيضا أن يحول مفهوم المادة الى حركة في هذا القرن ونتج عن ذلك تحويل الطاقة الكامنة في المادة الى طاقة اشعاعية بفضل الطاقة الذرية $W = m\ C.^2$ ومنها الى طاقة ميكانيكية وكهربائية فصنعت المفاعلات الذرية .... وكانت الثورة الصناعية الثانية التي نعيشها اليوم .

ولكن الحركة نفسها هي أيضا ليست مطلقة في الكون وهذا هو مبدأ آينشتاين الأساسي لنظريته النسبية الذي ينص بأنه « لا توجد في الكون حركة مطلقة . »

فتصبح كل المفاهيم العلمية ومن ثم كل العوامل التي تتطور حسبها الانظمة الكونية هي نفسها غير مطلقة ولا توجد الا بالنسبة الى التي تعرف عند المعرف بالثابت المستقر الخالد أي عند الله فمرجع كل ما في الكون اذن هو الله :

« وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ » — 3 / 109 —

★

9 - لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا

« وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ » - 255/2 -

" - والذي سيبقى إلى الأبد غير مفهوم في الطبيعة
هو اننا ندركها "

ان أداة التفكير العلمي تتركب مـن المنطق والملاحظة التجريبية • وان جهـاز التفكير العلمي عند الانسان هو العقل • وقليلا ما يتساءل الانسان عـن هذا الجهاز وهل هو كاف لمعرفة الحوادث التي يحاول الوقوف عليها •

فلنضرب مثالا فى الرياضيات التي لا تعتمد شيئا سوى المنطق فان الرياضيات فرع كبيـر من العلم مقـام على مفهوم الاعداد •

وقـد اكتشف الانسان الاعـداد الطبيعيـة : 1 و 2 و 3 •••• وعددها لا نهاية له ولكنه لما اكتشف الصفـر « 0 » استطاع أن يقيم نظرية تعتبر اليوم فصلا هامـا من الرياضيات وهي الحسابيات •

وعندما اهتدى الى عدد آخر غريب لا يستطيع كتابته ورمز له بالحرف اليوناني π استطاع أن يشيد نظرية هامة أخرى وهو علم الجبر •

وعندما اهتدى الى عدد آخـر ورمز له بحرف e استطاع أن يشيد نظرية أخرى وهي حساب التفـاضل والتكامل •

وكل هذه الاعداد الثلاثة تعتبـــر اعدادا سامية وهي : ٥ و ٣ و ٥ • ولكننا نـــدرك اليوم أن عـــدد الاعـــداد السامية لا يحصى ولا يعد أي أن فصول الرياضيات التي نجهلها هي أيضا لا تحصى ولا تعد اذ أن لكل عدد سامي نظرية رياضية •

فهل بمجرد تطبيق قوانين المنطـــق يكفي لأن نكتشف الاعداد السامية كلها ومن ثم فصول الرياضيات المجهولة حتى الآن ؟ كلا ! فان قيمة منطقنا لا تتجاوز نسبة قيمـــة ثلاثة « وهي عدد الاعداد السامية المعروفة » الى قيمـــة عدد لا يحصى ولا يعـــد « وهي عدد الاعداد الساميـــة المجهولة الآن » وذلك يعني أن قيمة منطقنا يساوي صفرا وعلمنا لأمر ما لا يكون الا باذن الله تعالى •

وأما التجربة فانها تفاعل بين النظام الذي تجري عليه عملية البحث من ناحيـــة والانسان الباحث مـــن ناحيـــة أخرى• والتفاعل لا يحدث الا في مجال وان عدد المجالات المعروفة اليوم أربع : الجـــاذبي والكهرطيسي والنووي ومجال التفاعلات الضعيفة والملاحظ أننا لا نعرف شيئـــا يذكر عن المجالين الأخيرين •

ولكننا نعلم أن المجالات التي نجهلها عديدة منها مجال الروح مثلا • ويكتب الاستاذ بيار قراسي مدير معهـــد التطور في باريس بفرنسا في كتابه « أنت الاله الصغير» :

« ليس الكون الذي يظهـر لنا أن تركيبه وحركيته سهلا الادراك هو كل شيء • ويحتوي العـالم الانساني على حقائق لم يلمسها الانسان ولربما لن يلمسها أبدا

وبالرغم مـن أن العلميين يقدرون ادراكنا تقديـرا متكبرا فان الاجماع على عدم وجود الغيب بعيد أن يتم ولم تشك في وجوده عبقريات ربما تعتبر أكبر ما يوجـد والذين هم والحق يقال من المؤمنين بالله وقد صرحوا بأن بعض المشاكل ليست في متناولنا وتفوق ادراكنا •

•••• الايمان بالغيب هو الاعتراف بنقصـان الانسان وقبول حالته بكل خشوع وعدم الافراط في معطيات الحس والادراك • وهو ربّما الأمـل في وجود عـالم أحسن لا نملكه وحيث توجد الروح فيه وتعمل مطلقة •

ولنعد فنقول انه ما دام الانسان يضع بحثه في المـادة وخاصياتها فهو يملـك السيطرة على الموضوع هذا ولكن هل لا موضوع سوى هذا الموضوع ؟ اننا مقتنعون بعكس ذلـك • »

ويقـول تعـالى :

« وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا » -85/17-

وجهلنا اذن لتلك المجالات يدل على أن التجربة لا تكفي لدراسة الأنظمة وهي لا تكفي أيضا لادراك الحقيقة الكاملة والمطلقة .

وينتج عن ذلك أن الموضوعية المقامة على المنطق والملاحظة التجريبية هي طريقة واختيار للوصول الى الحقيقة الكاملة والمطلقة وهي لا أحسن ولا أفسد من الطريقات الأخرى التي منها : الخير والشر ، الجمال والقبح ، النافع والمضر ، العدل والظلم ، الخ ... فهي تتكامل بعضها مع بعض ولكنها رغم ذلك لا تكفي أيضا اذ أن الانسان تحت حكم الزمان والمكان .

وان أهم المبادىء العلمية كما سبق بيانه هو مبدأ الايمان بالله الأوحد * وهو فى نفس الوقت الركن الاول من الاركان الخمسة في الاسلام . ولكنه يوجد مبدأ آخر هو « الله أعلم » نستطيع ان نعتبره اما نصا آخر لهذا المبدأ الأساسي أو اذا قبلنا هذا المبدأ في صغته الاولى يصبح « الله أعلم » تعريف بالله كما نصت عليه آية الكرسي في القرآن الكريم .

ومثل ما سبق أن بينا في محاضرة « لله العلم » فى مدينة المهدية « تونس » في يوم السبت 18 جويلية 1970

---

* راجع مجلة « العلم والايمان » عدد 7 (1972) صفحة 26 وعدد 9 (1972) صفحة 48

فان العلم لله وحده وان كل ما نتوصل اليه من أفكار ونتائج علمية ليس الا هبة من الله تعالى وليس لدينا أي أسلوب ولا أية وسيلة ــ لا منطق ولا ملاحظة تجريبية ــ كي نكون الافكار من عدم ولا نستطيع أن نصنع بمجرد عقلنا أية نتيجة فكرية سوى أن الله يهبها لنا وتلك هي نعمة أنعم بها الله علينا .

وشأننا في هذا المجال المعنوي كشأننا في المجال المادي. فمن ذا الذي يستطيع مثلا أن يصنع ذرة من لا شيء أو هباءة أو ذبابة أو كوكبا سوى الله الذي خلق ما نعلم وما لا نعلم ؟ ومن يستطيع مثلا أن يصنع هباءة ماء توجد في جسمه أو ذرة هواء أو أي عنصر من العناصر المادية التي يتركب منها جسمه ؟ فان الجسم يأخذ ذرات الهواء وهباءات الماء وكل العناصر من المحيط الذي يعيش فيه ويحول هذه العناصر الى هباءات أو ذرات أخرى هي غالبا هباءات عضوية تتركب منها خلايا جسمه . فهو يحول ما اقتناه من الخارج ولا يخلق شيئا أبدا .

كذلك فاننا لا نستطيع أن نصنع أية فكرة من لا شيء بل نأخذ أفكارا من الخارج ونحولها أفكارا أخرى فالافكار الأولية أتتنا من أناس عاصرونا أو سبقونا وأفكار هؤلاء الناس من أين أتت ؟ من أناس أسبق منهم .... الى أن نصل الى الافكار المنزلة من الله تعالى فى رسالاته وكتبه فهي أيضا هبة من الله أنعم بها علينا .

ويقول بيار قراسى في كتابه « انت الاله الصغير » :
« أهم نشاط مـخ الانسان هو التفكيـر الذي يبقى صعب الادراك وكيفية تكوين الافكار وظيفة لا يتصل بها علم وظائف الاعضاء مباشرة وجهلنا فيه تام وكبير • »

ويقول آينشتـاين : « والذي سيبقى الى الابد غيـر مفهوم في الطبيعة هو أننا ندركها • »

ذلك لأن العلم باذن الله وان شاء الله أي أنه :

«وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ»

— 255 / 2 —

ولو كان عقلنا هو الذي يصنع كل هذه الافكار وكـن هذا العلم من لا شيء لكان الانسان أحق بالاعتبار مـن العلم ذاته اذ أنـه هو الذي يصنع العلم ولكن الانسان هالك والعلم لا يهلـك فكيف بنظام هالك يصنع شيئـا لا يهلك ؟ كلا ثم كلا ! ان العلم من الله أنعم به علينا لنستنير به لان الله جل جلاله العليم •

وهناك مجال علمـي لا يحيط بـه الانسان ولن يحيط بشيء منه وهو علم الغيب وقد سبق أن تعرضنا لـه • وهذا متعلق تماما بوجود المكـان والزمان اللذين يـرتبط الانسان بهما كما بينا • واذا أراد الانسان أن يعرف علم

الغيب فينبغي عليه أن يتجرد من المكان والزمان ولكنه لا يستطيع أن يتجـــرد من المكـــان أو مـــن الزمان دون أن يتخلص من نفسه فيزول اذ أنه مـــن تراب أي من مـــادة ولذلك فانه لن يدرك أبدا علم الغيب •

ولذلك فان « الله أعلم » و « لله العلم » •

فهو اذن ثابت أن « اللـــه أعلم » لا تعنـــي « أنني لا أعلم » فقط ولكن هنـــاك ما لن أعلمه أبدا فالله اذن أعلم مني دائما ومنه أطلب العلم فلا من طريقة أخرى للتوصل الى العلم سوى الايمان بالله الذي هو العليم الحكيم •

★

10ـ الخَلقُ لِلّه وَحْدهُ

« أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ـ 16 / 17 ـ

ـ ان الحيوان لايتطور الى انسان بل الانسان
إلى حيوان أحيانا.

ويعتقد البعض أن الانسان سيتطور بدوره ويصبح « انسانا رفيعا » ثم « اله الكون ومدبره » حسب نظريات « داروين » وغيره المرتكز على مبدا « الصراع للحياة »

فان هذه النظريات تحتوي على تناقضات علمية عديدة منهـا :

1 — ان الاجناس المتطورة تعيش اليوم مع الاجناس التي يقال انها انبثقت منها والتي يعتقد انها اندثرت اليوم ويقول آينشتاين :

« ويذكر الكثير نظريـة داروين في المعركة للبقاء والانتقاء المتفرع عنها وذلك لاقامة فكرة التنافس وتشجيعها وقد حاول البعض أيضا التدليل بصفة علمية مزيفة ضرورة المعركة المحتقة بين الاشخاص في الميدان الاقتصادي وهذا ظلم اذ أن قوة الانسان مستمدة من كونه حيوانا يعيش في مجتمع فان المعركة بين أفراد النمل ليست أساسية لبقاء قرية النمل وكذلك في المجتمع البشري فان المعركة بين الأفراد ليست ضرورية للبقاء .

فينبغي علينا أن نحذر من تعليم الشباب النجاح العادي لان الانسان الناجح هو الذي أخذ من المجتمع

قسطا وافرا عادة أكبر بكثير مما يساوي المصلحة التي قضاها له • فقيمة الانسان تتمثل في ما يعطيه لا في ما يستطيع أن يأخذه »

2 ــ في جدول الاجناس المتسلسلة توجد حلقات مفقودة :

وقد سئل الاستاذ ديتار سبارليش النمساوي المختص في علم المورثات :

« ــ هل صحيح اننا لا نعلم الى الآن كل الحلقات الوسيطة في تطور الانسان انطلاقا من الحيوان ؟ »

فأجاب الاستاذ : « طبعا • فهو قريب الاحتمال أننا لن نعرفها أبدا * • »

ويقول الاستاذ بيار بيبارسون الفرنسي في كتاب « أصل الانسان » : « ويعتمد بدون حجة علمية على احتمال وجود انسان في العهد الثالث وعلى الحلقات المفقودة في السلسلة الرابطة بين القرد والانسان » •

3 ــ ان حسابا بسيطا يبين أن التطور الجنسي الذي يقع صدفة مستحيل •

وقد قال الله تعالى :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ

* انظر كتاب تطور الاجناس

ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ۝ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ » ـ22/73-74ـ

فربما قال بعضهم اننا نعرف اليوم الذباب معرفة أوفر مما كانت عليه منذ أربعة عشر قرنا وأن العلم سيكشف كل شيء عن الذباب وعندئذ يستطيع الانسان أن يخلق الذباب وغيره من المخلوقات .

فنقول له : ان ما نعلمه اليوم هو مجرد وصف ناقص للذباب ومركباته ربما هو اليوم أدق مما كان يعرفه الانسان من قبل ولكن لا نستطيع أبدا أن نجمع المواد المركبة للذباب ونخلق منها خلايا جسم الذباب خلية فخلية ثم ننسقها تنسيقا يجعل منها ذبابا جامدا ثم نبعث فيها الحياة فتقوم كل بوظيفتها في الجسد وتعمل فيه ليحيى الذباب . هذا من المستحيل . ذلك أن للعلم الذي به يعتقد البعض أن الانسان سيخلق ذبابا وغير الذباب أسلوب قد بينا مداه القصير وحدوده القريبة وقد بينا أن كل ما لدينا من علم هو باذن الله .

وقد يقول البعض الآخـــر أن الذباب خلقته الطبيعـــة صدفة وأن كل هذا الكون نتيجة الصدفة • فيقول جـــاك مونو مثلا في كتابـــه « الصدفة والضرورة » أنه يوجـــد مشكلان في العلم الحديث :

ـــ الاول هو كيف خلقت الكائنات الحية الاولى ؟

ـــ والثاني هو كيف خلق مخ الانسان وعقله الذي بـــه يدرك هذا الكون وهو نهاية الخلق ؟

أما كل ما بين هذين الطورين فيقول « جاك مونو » اننا نفهمه اذ أن كل شيء يتطور صدفة ويقول : « ان الصدفة وحدها منبع كل جديد وكـــل خلق في المعمورة » ويقول : « ان الصدفة الخالصة أعني أن الصدفة وحدها التي هي الحرية المطلقة ولكنهاعشـــوائية هي أساس المبـــدا الضخم بعينه الذي هو التطور » • ويقول أيضا : « نستطيع أن نقارن مقارنة جيدة الكائنات الحية بآلات وذلك من خلال تركيبها الكلي وأيضا من خلال وظائفها • »

وقـــد قال من قبله ديمقريطس اليوناني منـــذ 2500 سنة : « كل ما يوجد في الكون نتيجة الصدفة والضرورة» • أى أن كل شيء يأتي صدفة قبل حدوثه ثم يتبين أن ذلك ضرورة في الطبيعة بعد خلقه •

فان هذا التفكير مناقض تماما للأصول العلمية الحديثة• ونذكر مـــن بين هذه التناقضات أن كل شيء في الكـــون

يتطور حسب مبدا التطور المذكور من قبل وهو أن كل شيء لا يتطور الا من كائن منظم الى كائن فوضوي ثم هالك لا العكس .

ان خلية كائن حي تتركب من عناصر مادية يقرب عددها ما بين العشرين والثلاثين عنصرا فنستطيع أن نشبه الكائنات الحية في تنظيمها بالكتابة مثلا والتي تتركب هي أيضا من عناصر عددها ثمانية وعشرون حرفا في اللغة العربية .

فاذا بعثنا برقية من مكان الى مكان آخر فهي تتطور صدفة في أجهزة الارسال وتصل الى العنوان المقصود متغيرة ولم نلاحظ أبدا أن معاني البرقية ازدادت وتحسنت أثناء ارسالها فاذا تطورت البرقية خلال ارسالها في أجهزة الارسال فلا تتطور الا في اتجاه تشويه المعاني التى نريد تبليغها هكذا فالصدفة لا تفسر خلق الكائنات الحية بل هلاكها .

واذا وضعنا مثلا قردا أمام آلة راقنة وطلبنا منه أن يرقن الاحرف صدفة كما يشاء بدون ادراك لكانت مطبوعات القرد لا تحتوي على أي معنى فتحصل أحرف متشتتة بدون مفهوم معقول . فاذا طلبنا من القرد أن يحرر لنا في صفحة واحدة موضوع انشاء بهذه الكيفية أي صدفة كما يحرره تلميذ في المدرسة الابتدائية لمكث مدة طولها أكثر من خمسة عشر مليارا من السنوات الضوئية بدون أكل

ولا نوم وهو يضرب أحرف الآلـــة الراقنة صدفـــة بدون نظام حتى تظهر صدفة صفحة مكتوبة ذات معنى • هذا ما يبينه حساب الاحتمالات وهذه المدة أطول من عمر الكون كله فهذا يعني أن ظهور خلية كائن حـــي كظهور الصفحة المكتوبة كتابـــة مفهومة صدفة مستحيـــل لا يقبلـــه العلم الحديث •

وأما اذا مثلنا الكائن الحي بكتاب وهو مجموعة صفحات كالكائن الحي مجموعة خلايـــا وطلبنا من القرد أن يكتب بنفس الاسلوب المذكور كتابا يحتوي على مائتي صفحة مثلا فينبغي عليه أن يضرب الراقنة مدة طولها تقدر بعدد من السنين يكتب هكذا : واحد وقبله مائة وخمسون الف صفر * • وهذا أيضا مستحيل ويتنافى مع العلم الحديث•

وبلوغ خلق خلية حية صدفة مثل اصابة رصاصة تطلق من طرف المجـــرة التي نحن فيها الى الطرف المقابل الذي يبعد عن الاول مائـــة الف سنة ضوئية أي المسافـــة التي يسير فيها الضوء طيلة مائة الف سنة بسرعة ثلاثة مائـــة الف كيلومتر في الثانيـــة وتصيب هذه الرصاصة صدفـــة حجما أصغر من التفاحة وكـــل اصابة تمثل اصابـــة ذرة

* انظـــر كتاب الاعداد والافكـــار للسوفييتيين كلموقورف وكنتراتوف (1967) حيث يقولان : « هكذا نشاهد حقيقة معجزات في كل يـــوم وفي كل دقيقة وفي كل ثانية فـــان احتمال وقوع محادثاتنا وكتبنا واثاثنا ومبانينا كلها قليلـــة الاحتمال أن تقع وذلك الى حد ان ظهورها صدفة غيـــر معقول » .

تتركب منها الخلية وهذه نتيجة أخرى مـن نتائج حساب الاحتمالات • وهذه الاصابة مستحيلة بدون شك •

فيظهر اذن أن خلق الكـائنات الحية وتطورها صدفة مستحيل وتعجز النظريات القائمة على الالحاد أو الشرك أن تفسر هذا الخلق وتتناقض هذه النظريات مع الأصول الاساسية للعلم الحـديث اذ أن المبـدا الاساسي للعلم الحديث في القرن العشرين أيضا هو الركن الأول في الدين الاسلامي أي الشهادة كما بينـاه • فلن يخلق أحد ولـو ذبابا سوى الله تعالى كما ورد في الآية وهو يتصف وحده بالخلق ولا يصح هذا الفعل الا له •

ولا نظام في الكون بدون طاقة نظامية كمـا ينص على ذلك المبدأ الاول للنظرية الحرارية الذي يقول : « لا طاقة بدون منبع طاقة » • فان الله تعالى هو الذى « خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا » 2/25

« وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ » — 73/6 —

4 ــ لا تستطيع الخلية الاولى أن تحوي كل المعلومات التي حسبها ستتطور الى حد الآن •

يقول الاستاذ بيار قراسى في كتابه « تطور الحـــي » (1974) : « اذا التطور يقـــع بدون اكتساب مورثـــات جديدة ينبغي علينا أن نقبل أن الكائن الحي الاول يحوي عددا كافيا من المورثـــات التي تحدث بتغيرها النباتـــات والحيوانات السابقة والحالية واللاحقة • وهذا محال •

وكل نظـــام يدعي تفسير التطور ينبغي عليه أن يتخذ طريقة ليس فيها تغير المورثات ولا الصدفة •

وهذا ما فهمه الداروينيون المصلحون وعلماء الحيـــاة اللاماركيون ومن هنا استنجادهم بالعوامل الباطنية •

وانه ينبغـــي على المجهودات المجتمعـــة لعلم تـــاريخ الكائنات الحية ولعلم الحياة الهبائية المفصولة عن نظرياتها أن تنتهي بنا الى اكتشاف الطريقة الصحيحة للتطور ربما دون أن تكشف لنـــا أسباب اتجاهات صفوفهـــا ونهايـــة مركبات وظائف حلقاتها الحياتية •

وان علم الحياة وهو عاجز في هذا الميدان يحتمـــل أن يسلم الكلمة الى علم ما وراء الطبيعة • »

ويقول الاستاذ الفرنسي « جول كـــارل » في كتابه : « الانسان الاول » : « اذا أردنا أن نلخص في كلمة مـــا

تعلمناه عن الانسان الاول خلال هذه الصفحات نستطيع أن نقول بتأكيد أننا لم نعلم عنه شيئا . »

5 ــ ان التطور ــ اذا كان هناك تطور ــ لا يكون الا حسب مبدا التطور وهو مبدأ « كلوزيوس ــ كارنو » أي أنه اذا تطور الانسان ماديا فلا يتطور الا الى حيوان لا من حيوان الى انسان .

ويقول الاستاذ «بيار بيبرسون» أيضا: «اني أعتقد أنه لزوما علينا أن نفــرق قطعيا بين الذكــاء والثقافة التي تكتسب بالتطور واني أعتقد أن الانسان المعــاصر ليس أكثر ذكــاء من انسان العصر الحجري القديم الذي رسم جدرانيات كهف التميرة أو أكثر ذكاء من فلاح عصر الحجر المصقول الذي عرف كيف ينتقي الحبوب الصالحة للزراعة والحيوانات الداجنة .

ولكن الذي تغيــر هو وسائل حفظ العادات الشفاهية والمكتوبة ووسائل نقلهــا ومن بعد ذلك الكتــاب المطبوع والتربية المدرسية وان الثقــافة تطورت في البــلاد ذات الحضارة الادبية ولكن ليس هناك ما يثبت أن الذكاء قــد ارتفع » .

ويقول الاستاذ « بيار قراسى » في كتابه « أنت الاله الصغير » : « وبصفة أخرى فان مخ الانسان يحتمل أن يواصل نموه . ونتيجة هذا البيان السابق هي أن الطفــل

الحالي يحتمل أن يكون أكثر ذكاء من الذين سبقوا ويحتمل أن يكون قادرا مبكرا على أن يقود نفسه في الحياة اليومية •

وهكذا في نفس الوقت الذي يقال فيه أن للانسان موهبة عدم النسيان يؤكد أيضا أن مخه يتطور وأن امكانياته العقلية ترتقي ويقال أيضا أن انسان المستقبل سيصبح انسانا رفيعا « لا الانسان الذي يحلم بوجوده نيتش طبعا » ذا مخ قادر على أن يحقق انتصارات يصعب علينا الآن أن نتصورها •

ويوجد تناقض واضح بين هذين الافتراضين واذا كان صحيحا أن العقل لا يصطدم أبدا بالمجهول واذا كان رائدا ناجحا للموجود فانه قد وصل الى الكمال وعندئذ اذا واصل تطوره فلا يستطيع أن يتطور الا نحو الفساد والتدهور •

ونلاحظ مفاجئين أن العلماء الذين لا يعلمون ما هو المجهول يصرحون في نفس الوقت بأن تطور الانسان لم ينته بعد وتبذل في شأنه وعود مبالغ فيها • وبصفة أخرى فان عصر ذهب الانسانية لم يأت بعد • واحسرتاه ! اننا لن نكون هنالك لنتمتع به •

•••• ولكن هنالك نقطة متأكدة : فان حجم جمجمة المخ لا تكبر وكذلك المخ نفسه • وان حجم المخ مرشح

للنقصان لا للازدياد •

•••• ولا يوجد أي حدث مضبوط يمكننا من أن نقول أن أبناء اليوم أكثر ذكاء من الذين سبقوا •••• »

وقال الله تعالى :

« وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ » -2 / 65-

« فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ » -7/166-

« قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ » -5/60-

وكثيرا ما ينسب للشمس منبع التنظيم والتطور •

— ولكن الشمس نفسها من أين استمدت هذا التنظيم؟

— يجيب بعضهم : من المجرة •

— والمجرة ؟

ـــ من الكون .

ـــ والكون نفسه من أين استمد هذا التنظيم ؟

ـــ .....

ولا يكون الحل صحيحا علميا الا اذا اعتبرنا منبعا لكل تنظيم وحياة وهو الله الذي لا اله الا هو .

وقال تعالى :

« وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا
ءَالِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ
وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ
اللَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ
قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغًا
قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي
رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَءَا
الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ
فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ

إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» 6/74-79

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ
الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا
وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا
يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ
مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ»

— 73/22 —

«الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ
الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ
وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي
الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا
الْمِيزَانَ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ فِيهَا فَاكِهَةٌ
وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ
وَالرَّيْحَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» 55/1...78

في هاته السورة يصف الله تعالى الخلق في توازن وكل شيء في اتزان مع الآخر سواء أكان ذلك في الميدان المادي أو في الميدان الأدبي أي أن كلمة ميزان تعني التوازن المادي خلقا وحركة وعدالة أدبية في علاقاتهم بعضهم ببعض •

ويقول بيار قراسي في كتابه « أنت الاله الصغير » : « مهما كان الافتراض الذي نتبعه فيبقى حدث وهو أن الحياة ناتجة عن تنظيم واتزان وتنسيق سائد بين أطراف هيكل مادي معقد ومتغاير وهذا النظام يوجد في جميع المستويات : في الذرة والهباءة والهباءات الضخمة والكنسج والاعضاء وفي الحقيقة فان الحياة هي انتصار التنظيم

•••• وليست الحياة خاصية أولية للمادة وينبغي علينا أن نحطم هذا الرأي الذي يقدمها هكذا والذي يخفي الحقيقة وان الحياة في نفسها سعي محقق في مجموعة معقدة ومنظمة ومبنية وهي كد موجه الى أن تكون حيا وتبقى كذلك • »

وما هو قدر الانسان ومنزلته في الدنيا بين كل المخلوقات ؟

فهي في أسمى مرتبة كما ذكرنا من قبل وكما بينه علماء القرن العشرين •

وقد قال الله تعـالى :

« لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ » 4 / 95

« خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ » 3 / 64

وأكسب الله الانسان جميع المؤهلات ليفهم كل الاشياء باذنه فيقول بيـار قراسى : « ولكن الانسان في صميم نفسه يعتقد أنه قادر على أن يعـرف كل شيء وأن يفهم كل شيء » .

وقال الله تعـالى :

« وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا » 31/2

فبالعقل فضل اللـه الانسان على كثيـر من المخلوقات وجعله باذنه خليفة في الأرض .

وقد قال الله تعـالى :

« وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا » 70 / 17

٣ ـ القرآن كتاب علم

ـ او الاعجاز العلمي في القرآن ـ

« وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ـ 3 / 7 ـ

ـ ليس هو معجماً علمياً ولكنه مستوحى من روح العلم وجوهره .

1 ـ الاعـداد

2 ـ الزمـان

3 ـ الكـون

4 ـ الشـمس

5 ـ الأرض

6 ـ القـمر

7 ـ المـاء

8 ـ الحيـاة

*

« وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ » 7/3

فاذا كانت الشهادة : « أشهد أن لا الاه الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله » هي المبدا الاساسي للعلم المعاصر كما تبين لنا سابقا فانه يتحتم علينا أن نبين أن القرآن الذي هو كلام الله هو كلام علم أيضا • ولقد قال الله تعالى :

« سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ » 53/41

ولا نعني بذلك أن القرآن معجم علمي ولكنه كتاب مستوحى من روح العلم وجوهره •

وكل علماء اللغة يعلمون أن القرآن معجزة لغوية ولكنه لا يحتوي على أي قاعدة نحو ولا صرف ولا بلاغة وذلك رغم أنه مكتوب بأحرف عددها محصى ومنسق ومحكم احكاما يفوق طاقات كل البشر وقد قال الله تعالى :

«كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ» 11/1

وكذلك نقول أيضا ان القرآن معجزة علمية لا لأنه يحتوي على القواعد والقوانين العلمية أي لا بصفته معجما علميا ولكن لأنه مستوحى من روح العلم وجوهره.

ولقائل أن يقول ان العلم يتطور فاذا بينا مثلا أن شيئا علميا ما يوجد في القرآن كيف يكون الأمر اذا تطور ذلك الشيء العلمي وأصبح ملغى مثلا ؟

لقد أقمنا الدليل على أن العالم يؤمن بوجود حقيقة علمية ثابتة خالدة يسعى الى معرفتها فاذا كانت هاته الحقيقة العلمية تتطور وان ما يصل اليه اليوم من نتائج علمية يجب أن يتغير لانه خطأ بالنسبة الى النتائج الجديدة وهذه النتائج الجديدة هي بدورها خطأ أيضا بالنسبة الى ما سيليها وهكذا الى ما لا نهاية له . فهذا يدل على أن العالم يعلم مسبقا أن علمه الذي يستنتجه خطأ فلا فائدة في العمل لأجله وهذا هو الجهل والظلام بعينه الذي لا يؤكده العلم الحديث ولا ينص عليه القرآن اذ أن العالم يؤمن مسبقا كما بينا بوجود الثوابت والمستقرات واذا وقع تطور في نتائجه العلمية فلا يكون الا على شكل اكتشاف جديد يكمل ما حصل له من قبل أو

يدققـــه .

فلنضرب مثالا لذلـــك فمـــن يستطيع اليـــوم في علم الأرض أن يقيم الدليـــل على أن الارض ليست مستديرة و لكنها على شكل عجلة سيارة مثلا ؟ لا أحد ! و لكن أقصى ما يقع مثـــلا هو أن تدقق كروية الأرض وفعـــلا اكتشف علماء الفضاء أن الأرض المستديرة ليست كروية الشكـــل ولكنها على شكل أجاصة أو بيضة وهذا ما ورد في القرآن الكريم اذ قال الله تعـــالى :

« وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ » 30/79

والدحية هي البيضة بعدما فهمنا أنه ذكـــر أنها كروية الشكل في قوله تعـــالى :

« يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ » 5/39

وبهذا المفهوم فان القرآن كتاب علم لا يفوته أي علم يكتشفه البشر وسنحاول باذن الله بيان ذلك خلال تفسير بعض الآيات وقد قال الله تعالى :

« مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ » 38/6

ونحن المسلمون نؤمن بوجود العلم اذ أن من صفـــات الله العزيز أنه « العليم » وهو يحثنا دائما على المزيد من

العلم وقد قال الله تعالى :

« وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا » 114/20

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : « اطلب العلم من المهد الى اللحد » • وقال أيضا : « اطلب العلم ولو في الصين » • وقال أيضا : « حبر الطالب أقدس من دم الشهيد » • وقال أيضا : « لو تعلقت همة المرء بما وراء العرش لناله » •

وهكذا فان تفسير القرآن لن ينتهي أبدا وهو دائما سابق العلم البشري وتوجد فيه حلول مشاكل عديدة يبحث عن حلها علماء اليوم سنذكر منها البعض باذن الله وأكثر من ذلك فقد ذكر القرآن مشاكل علمية مع حلولها لا يستطيع العلم اليوم أن يصيغ شكلها ولا أن يطرحها •

فلذلك ان قراءة القرآن تنمي التفكير العلمي في الانسان مثلما تنمي فيه مثلا صقل اللغة العربية وتهذيب الكتابة بها • وهذا يجعلنا نؤكد تأكيدا ملحا على تدريس القرآن وتفسيره التفسير اللائق الصحيح في جميع المدارس والمعاهد والجامعات وعلى جميع المستويات والفروع علمية كانت أم أدبية أو قضائية أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية •••• انه كلام الله

« لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ » 42/41

ونعني بذلك تدريسه لا على انفراد مثل ما يدرس أي كتاب تاريخي بل تدريس مندمج مع جميع فروع العلم تدريسا مستندا الى آيات الله وتفسيرا لها أو انطلاقا منها كلما استطعنا ذلك لا فاصل بين القرآن وتدريس أي مادة الامر الذي يستوجب حتما تهيئة الاطار المربي وسنبين ذلك باذن الله في أمثلة بسيطة اخترناها متفرقة في الآفاق وفي الأنفس :

- الاعداد
- الزمان
- الكون
- الشمس
- الأرض
- القمر
- الماء
- الحياة

★

1 ـ الاعـــداد

«وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا.» ـ 28/72 ـ

ـ من زوج يخرج الله الفرد في نسخة فريدة لامثيل لها في الدنيا.

قال الله تعالى :

« وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا » 28/72

« كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ » 1/11

« قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا » 88/17

« وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ » 23/2

« أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ

صَٰدِقِينَ » 38/10

« أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ » 13/11

« فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ» 34/52

«لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ » 21/59

ان القرآن الكريم يحتوي على معان علمية عميقة وان آياته وكلماته وحروفه كلها متناسقة متناسبة منظمة حسب قانون عددي محكم رغما عن طول مدة نزوله وهي 23 سنة •

ودرس منذ القديم علماء اللغة والبلاغة هذا الاعجاز ولم يهتدوا الا الى البعض من أسراره ويدرسه الآن خبراء بالاستعانة بآلات عصرية جدا مثل الحاسبات الالكترونية كالدكتور رشاد خليفة الذي درس خاصة

فواتح السور بالحاسبات الالكترونية في الولايات المتحدة وكتب هناك كتابا اسمه « معجزة القرآن : دلالة الحروف الغامضة » * وكتاب آخر اسمه : « عليها تسعة عشر » ** ومثل الدكتور عبد الرزاق نوفل الذي كتب كتابا اسمه « الاعجاز العددي للقرآن الكريم » في ثلاثة أجزاء وكتاب اسمه « الله والعلم الحديث » وفي كل هذه الدراسات حصلت نتائج عديدة تبين الاعجاز العلمي للقرآن الكريم •

أ- الحساب

قال الله تعالى :

« وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا » 25/18

وقد عاش اصحاب الكهف في منطقة آسيا الصغرى الجنوبية الغربية (راجع مقال الاخ شوقي أبو خليل في مجلة العلم والايمان عدد 34/33 « 1978 » صفحة 5) وكانوا يستعملون هناك التوقيت الشمسي وللسنة

---

* Miracle of theQuran : Significance of the Mysterious Alphabets

** وهي آية في القرآن في سورة المدثر (30/74)

الشمسية 365،25 يوما والقرآن الكريم نزل باللغة العربية في قوم يستعملون التوقيت القمري ومقدار معدل الشهر القمري 29 يوما و 12 ساعة و 44 دقيقة و 2،8 ثانية أي أن في السنة القمرية يوجد 354،53 يوما •

وتكون نسبة السنة الشمسية للسنة القمرية $\frac{365.25}{354.53}$ = 1،03 أي أن السنوات القمرية المقابلة لمدة 300 سنة شمسية هي 300×1،03=309 سنة قمرية ويكون الفرق بينهما تسع سنوات بالضبط كما ذكره الله تعالى في الآية (25/18) المذكورة فمن كانت له هذه المعلومات الدقيقة في زمن نزول القرآن منذ أربعة عشر قرنا ؟ هذا هو اعجاز علمي آخر •

وقد ذكر القرآن الكريم 285 رقما أي : 19×15 رقما ومجموع الارقام المذكورة في القرآن الكريم : 174591= 19×9189 •

واذا حذفنا المكررات منها فهي : 162146=19×8534 ومجموع الأرقام المكررة في القرآن الكريم هي : 12445=19×655 •

ب - الكلمات

ان القرآن يحتوي على بعض المئات وستة آلاف آيـة كلماتها كلها منسقة ومحكمة أي احكـام ونجد الكلمـات موزعة توزيعا منظما فهناك تساو وتناسب ثنائـي وثلاثي وأكثر وهناك تقارب وتضاد ....

فنجد مثلا كلمتي الرجز والرجس مذكورتين كلا منهما عشرة مرات في القرآن كله وكلمتي الدنيا والآخـرة 115 مرة كلا منهما وكلمتي الملائكة والشيطان .....

وقـد بين بعضهم أن أكبـر المؤلفين في لغـات عديدة كالانقليزيـة والالمـانية والفرنسية والعـربية .... لا يستعملون الا خمس في المائة على أكبر تقديـر من لغتهم وأما القرآن فقد استعمل أكثر من خمس وسبعين في المائة من اللغة العربية وهذا هو اعجاز آخر .

ج - الحروف

يحتوي القرآن على 114 سورة وهذا العدد 114 هـو من مكررات عدد 19 أي أن 114=19×6 وآخـر سورة تحتوي على 6 آيات وقد يبدأ البعض من السور بحروف

وهـــي : ق ، ص ، ن ، حم ، طه ، يس ، طس ، طسم، الم ، الر ، عسق ، المر ، المص ، كهيعص وعددها 14 أيضا وتسمى هذه الحروف فواتح السور وهـــي غامضة فاطلق عليها اسم الحروف الغامضة وقد درسها بحاثون عديدون منهم دكتور رشاد خليفة كما ذكرنا •

وتحتوي اللغة العربية على 28 حرفا ولم يستعمل الله من هذه الحروف سوى 14 منهـــا وهي تسمـــى الحروف النورانية وهي : أ ح ر ص ط ع ل م ن هـ ي ق س كـــ وتبقى الحروف الأخرى التي تسمى الحروف الظلمانية •

فيكون عـــدد الحروف 14 وعدد الفـــواتح 14 وعـــدد السور التى فيهـــا فواتح 29 ومجموعها : 14+14+29= 3×19=57 •

وقد قال تعـــالى :

«عَلَيْهَـــا تِسْعَـــةَ عَشَرَ» 74/30

والآيات الاولى التي نـــزلت على الرسول صلى اللـــه عليه وسلم هي : « اقـــرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم » • (96 1—5)

فهي الآيات الاولى من سورة العلق وعدد كلماتهـــا 19

وعدد حروفهـا 76=19×4 وسورة العلـق هي السورة التاسعة عشر اذا عددنا السور من الآخـر وعدد آيـات سورة العلق كلها 19 أيضا وعدد حروفها 285=19×15

فاذا اعتبرنـا : « بسم الله الرحمان الرحيم » فهـي تحتوي على تسعة عشر حرفـا وكل كلمة من هذه الآيات مكررة في القرآن عدد مرات من مكررات 19

اسـم	19 مرة أي	19×1
اللـه	2698 مرة أي	19×142
الرحمان	57 مرة أي	19×3
الرحيم	114 مرة أي	19×6

واذا اعتبرنـا مجموع مكـررات 19 أي 1+142+3 +6=152 فهو أيضا من مكررات 19 أي 152=19×8

ويكتب عدد 19 باستعمال أول رقم في النظام العددي العربي وهو 1 وآخره وهو 9 وهذا العـدد 19 أصم أي أنه لا يقبل القسمة الا بنفسه أو بواحد فقط وهو العدد التاسع من الاعداد الصماء الاولى التى هي : 1 ، 2 ، 3 ، 5 ، 7 ، 11 ، 13 ، 17 ، 19 .

فلنعتبر مثـلا حرف القاف فهو مكـرر 57 مـرة أي 19×3 مرة في سورة « ق » وهو مكرر أيضا 57 مـرة في سورة الشورى التي تبدأ بالحروف التالية « حم عسق »

فيها حرف القاف • ومجموعها : 57+57=114 وهو عدد سور القرآن وهذا يدفعنا الى أن نفرض أن معنى « ق » هو ربما القرآن • والدليل على أن هذا التناسب مقصود سبقا أن في سورة « ق » في الآية رقم 13 وهي « وعاد وفرعون واخوان لوط » لم يذكر الله تعالى « قوم لوط » كما ذكرهم سبع مرات في القرآن الكريم بهذا الاسم ولم يسمهم « اخوان لوط » الا هذه المرة كي لا يختل تناسب عدد حرف القاف والا اذا سماهم « قوم لوط » في هذه الآية 13! أيضا أصبح عدد حرف القاف في سورة « ق » 58 حرفا وهذا العدد ليس من مكررات عدد 19 وكذلك وقع في سورة « آل عمران » بالنسبة لحرف الميم فعوض أن يقول « مكة » قال « بكة » محافظة على عدد حرف الميم في هذه السورة •

وعدد حرف الصاد في السور التي في فواتحها حرف الصاد أي في الاعراف ومريم وص هو : 8×19=152

وعدد حرف النون في سورة « القلم » مع كتابة حرف النون هكذا « نون » حسب الكتابة العثمانية لا هكذا « ن » : 7×19=133

وهذا التناسب في العدد الذي هو من مكررات 19 يوجد في كل السور بالنسبة لحروف فواتحها •

وعـــدد جميع حـــروف القرآن هـــو : 329156=19 ×17324 ويكتب هذا العدد 329156 بالارقام الآتيـــة : 1 ، 2 ، 3 ، 5 ، 6 ، 9 بدون تكرار ويغيب في هـــذا العدد الارقام الآتيـــة من النظـــام الترقيمي : 0 ، 4 ، 7 ، 8 ومجموعها : 0+4+7+8=19 •

وليس هـــذه الاعداد صدفـــة فاذا سلمنا أن احـــدى الكلمات كان عددها 19 صدفة فحساب الاحتمالات يبيـــن أن احتمال الثانية أن يكون عددها من مكررات 19 مقداره قريب جـــدا من الصفر وأما الثـــالثة فهو صفـــر وكذلك الرابعة •

ان هـــذا الترتيب مقصود وان كـــل القـــرآن بسوره وآياته وكلماته وحـــروفه منظم ومنسق ومحكم احكامـــا تعجز عن تقليد البعض منه كل الانس والجن بالاستعانة بما لديهم من آلات وأجهزة •

ويعجز أي مخلوق أن يتكلم أو يكتب فى أي لغـــة كانت شيئا مفهوما وبليغـــا وفي نفس الوقت منسقا في جملـــه وكلماته وحروفـــه تنسيقا مماثـــلا لتنسيق القرآن ولـــو استعان بأكبر الآلات والمعدات •

والمعلوم أن القرآن نـــزل طيلة ثلاث وعشرين سنة أي أن ما نزل في الأول يشترط عليه أن يأخذ بعين الاعتبار ما سينزل في وقت لاحق حتى يحفظ التنظيم الحاصل في آخر

الامر وهذا اعجاز آخـر يؤكد بصفة غير مباشرة أن الله في كل زمان كما سيقع توضيحه باذن الله •

د ـ الشفـع والوتـر

قال الله تعـالى :

"سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ"
36/36

وقال أيضـا :

"وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" 49/51

1 ـ القسيمـة :

ان المادة تتركب من قسيمات ولكل قسيمة مادية زوجها وهي قسيمة مطابقة لهـا من مادة نقيضة ومثـل ذلـك الالكترون الذي يقابله الالكترون النقيض أو البوزيترون وكذلك البروتون والبروتون النقيض ••••

وقـــد اكتشفت قسيمات عديدة عددها ثلاثون تقريبـــا نجهل الرابط العضوي بينها رغم انها تتولد بعضها مـــن بعض • ولكن المتأكد هو أنها كلها مزدوجة أي أن الواحدة منها مكونة من مادة والزوج من مادة نقيضة •

2 ــ النـــواة :

ان نـــواة الذرة تتركب دائما مـــن زوجين البـــروتون والنيوتـــرون ولا نعلم ولو نـــواة واحدة متـــركبة مـــن بروتونات وحدها أو نيوترونات وحدها وقد كان هدف من أهداف بحثي العلمـــي * في الفيزيا النووية في « كولاج دي فرانس » بباريس من سنة 1956 الى سنة 1959 هو امكانية اكتشاف نيوترونين متكتلين معا في نواة واحـــدة حسب العملية النووية : $Be^9 + n \longrightarrow 2\alpha + 2n$ فلـــم أجدها ولم يكتشف أي باحث علمي الى اليوم نواة متركبة من نيوترونات فقط رغم أن شحنتها الكهربائية متعادلـــة ويتفرق النيوترونان منـــذ خروجهما مـــن النواة Be^9 في العملية النووية المذكورة • وتأثير هذه النتيجة كبير جدا في استخراج الطـــاقة الذرية من النواة وصنع المفاعيـــل والمفرقعات النووية •

---

* الاطروحة التي قدمتها سنة 1959 في جامعة باريس رقم : Série A No 3220 والتي وقع اعدادهـــا No Ordre : 4092 تحت اشراف الاستاذيـــن فريدريـــك جوليـــو كـــوري وفرانسيس بيران .

فان النواة الذرية تتركب دائما من زوجين : النيوترون المتعادل والبروتون الموجب • لا توجد نواة متركبة من نيوترونات بحتة أو بروتونات بحتة •

3 ــ الذرة :

ان الذرة تتركب من نواة ذات الشحنة الكهربائية الايجابية والالكترونات الدائرية ذات الشحنة الكهربائية السالبة • ولا توجد أي ذرة بدون هذه الازدواجية بما في ذلك البروتون نفسه ولكن النيوترون الذي لا يتطلب الكترونا دائريا فهو غير مستقر اذا كان طليقا فيشع ويتحول بروتونا يزدوج مع الكترون ويصبح ذرة عادية •

4 ــ الهباءة

ان كل الهباءات تتركب من ذرات موجبة وسالبة أى ان كل الهباءات مزدوجة ومثل ذلك Cl^- و Na^+ واذا كانت الهباءات متركبة من نوع واحد من الذرات مثلا H_2 فيتحول في كل وقت الكترونا من ذرة الى أخرى فتصبح واحدة H^+ والاخرى H^- وهكذا يقع الازدواج $H2 \leftarrow H^- + H^+$ أي غاز الهيدوجين المعروف •

وتكون الهباءات بلورات مـن النوع الواحد يمينية أو يسارية أي زوجين كالصورة ومعكوسها في مـرآة مثـل شكل الكفين •

5 ــ الكـون

يوجد في الكون أجـرام تشع طاقة هائلة جدا بالنسبة الى الطاقة العادية التي تخرجها الشمس مثلا أو أي نجم عادي آخر ومثل هذه الطاقة لم تلاحظ سوى عند التحام القسيمات المادية مع قسيمات مادية مناقضة وهذا يـدل على أن الاجرام التي تشع هذه الطاقة الهائلة تتركب من مادة مناقضة تتفاعل مع مادة الكون المـادي الذي نعيش فيه وهذا ما يسمى كوازار (Quasar)

واذا صحت هذه النتيجة فانه ليس من الخطا أن نقول ان الكون الحالي له أيضا كون متركب من مـادة مناقضة فالكون أيضا مزدوج •

6 ــ الكائنات الحيـة :

ان الكائنات الحية كلها زوجان سواءا كانت بشرية أو حيوانية أو نباتية •

وقد قال الله تعالى :

« وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ » 53/45-46

وقال أيضا :

« الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ » 20/53

وينتج التناسل من تلاقح الزوجين واذا وقع التلاقح من الفرد لنفسه فما ينتج عنه لا يثبت أبدا كما يقول الدكتور الأسباني جوزوي دكسيوس في كتاب « ولادة طفل » :

« في حالة توالد عذري أو حمل بدون اخصاب أو القاح حيث يلقح الفرد نفسه بنفسه فان ما ينتج عنه غير قابل للحياة لأن الافراد الخنثاويين عاجزون أو عاقمون في هذه الحالة » .

والنبات أيضا يتناسل بتلاقح الزوجين سوى بعض النباتات التي لا تعتبر متناسلة بل نامية حسب عملية الانقسام أو النمو المتواصل

فاذا قطعت غصنا من شجرة وغرسته فهو يتواصل في

النمو كأنه على الشجرة الأم ولا يسمى هذا تناسلا •

7 ــ الخليـــة :

وفى خلية كل جسم حي توجد عدة أزواج من الصبغيات والتناسل لا يقع الا بلقاح الحيوان المنوي لبويضة الانثى أي بمزج نصف الصبغيات الذكرية مــع نصف الصبغيات الانثوية ولكن في الصبغيــات مورثات وكــل المعلومــات الوراثية مكتوبــة في المورثــات بفضل أربعــة حروف لا تتجامع الا مثنى مثنى وهي : أدنين مع تيمين وقوانين مع سيتوزين التي تتركب هي بدورها من أربعة عناصر مادية مزدوجة : H و C و N و O

ويتكون من هذا المزيج كائن جديد ليس كمثله كائــن آخر فاذا كان بشرا فان هــذا البشر الجديد ليس كمثله بشر آخر فهو نسخة بمفردها لأن عدد المعلومات المكتوبة في المورثات لا يحصى ولا يعــد ونتيجة المــزج المذكور تختلف عن نتيجة مزج آخر •

8 ــ الاعــداد :

لقد أقسم الله تعالى وقال : « وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ » 3/8 9

والشفع هو الزوجان والوتر هو الفرد .

فمن الزوجين يخرج الله الفـرد وهو نسخة فريدة لا مثيل لها . وهذا ما اندهش له العلمـاء ولم يقسم اللـه بالشفع والوتر في خلق الكائنات الحيـة فقط بل أيضا في خلق كل شيء وفي السورة هذه أي سورة الفجر في خلق الليل اذ أن من الليل والنهار يخلق الله ليلا ليس كمثله ليل آخر اذ أن مواقع الاجرام السماوية تتغير ولا تعاد أبدا الى مواقعها السابقة . وقد قال الله تعالى :

« وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ » 36 / 37

فان الله تعالى خلق الازواج كلها فى كل شيء وأخرج منها الفرد الذي ليس كمثله فرد آخر . وذلك ممـا نعلم ومما لا نعلم فاذا اعتبرنا الاعداد فهي أيضا مكونة كلهـا فردا فردا وكل فرد من الاعداد لا يماثل الآخر فكل عدد وتر فالواحد لا يماثل الاثنين والاثنان لا تماثل الثلاثـة الخ ... ولكنها كلها تكتب وتنشأ وتصور باشارتين فقط مثلا 0 و 1 أو اشارتين من أي نوع كانتـا مثلا : . و ١ أو اشارتين ــ و ١ أو اشارتين . و ــ وهذا مـا يسمى النظـام العـد دي الثنـائي وهو النظـام المستعمل في الحساب الالكتروني وهو أبسط نظـام ولكن نستطيع أن نعوض الاشارتين بحالتين مثلا : مفتوح ومغلوق أو أعلى

وأسفل أو أبيض وأسود .....

كذلك الامر بالنسبة لكلامنا وكتاباتنا وكل ما ندركه فهو يجسم باشارتين فقط وبدون أن ندخل في التفاصيل في هذا الميدان الكبير من العلم الحديث نشير الى أن هناك نظاما كتابيا بسيطا منشورا في كل البلدان وهو نظام مورس القائم على النقطة • والجرة —

وقد قال الله تعالى :

« قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا » 18 / 109

وقال أيضا :

« وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » 31 / 27

★

2 ـ الزمـــان

« وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا . » ـ 17 / 12 ـ

ـ ان حقيقة الزمان غير التي نتصورها في العادة وليس للزمان معيار ثابت .

أ ـ الابعـاد

ان الله تعالى في كل زمان وفي كل مكان أي أنـه في كل الابعاد وخاصة الابعاد الاربعة التى يعـرف بها الانسان المكان والزمان •

أما الانسان فهو يستطيع أن يتحول حـرا في المكـان المعرف بالابعاد الثلاثة ولا يستطيع أن يتحول في الزمان فهو لا يستطيع اليوم أن يكون في الامس أو في الغد ولا يرى من الزمان الا اللحظة التى هو فيها •

وقد أقسم الله تعالى وقال :

« وَٱلْعَصْرِ » 1/103

فيقسم الالـه بالعصر وهو الدهـر الذى هو حـاضر بالنسبة له اذا صح هذا التعبير لأن الاله ليس تحت حكم الزمان فكل زمن حاضر له أي عصر له •

ويعتبر الزمان عاملا تتطور حسبه كل نظم الطبيعة فهو لا يوجـد في الكـون ولكنه يظهـر هكذا في المعـادلات والمصطلحات البشرية •

فاذا تحول الانسان في فضاء ذي بعدين أي في طريق على سطح الارض مثلا فهو يـرى الاشياء ويمر عليهـا بالتـرتيب فيكون في السوق ثم يمـر في الطريق فيـرى

المسجد ثم يمـــر في الطريق فيرى الجامعة ولا يراها الا بالترتيب الواحد بعد الآخر مثل ما نرى الزمان بالترتيب.

وأما اذا ارتفع في السماء في طائرة أو صعد على ربوة أي انه دخل فى البعد الثالث وهو الارتفاع فهو يستطيع أن يرى كل شيء بعضه مع بعض في نفس الوقت وبدون ترتيب .

كذلك فان الله تعالى في البعد الرابع يرى كل شيء في نفس الوقت وهكذا فان الزمان عصر له ويـــرى الحوادث بدون ترتيب . فيرى الخلق كلـــه ويتكلم عنه في القرآن بدون ترتيب ويتكلم عن يوم القيامة في الماضي .

وهذا المفهوم للزمان أدخله في العلم آينشتاين في القرن العشرين وكان من نتـــائجه أن الزمان يتمغط فيطـــول أو يقصر فعلا . فاذا اعتبرنا شقيقين توأمين أحدهما يبقـــى على سطح الأرض والآخر يخرج منها في صاروخ بسرعة قريبة جـــدا من سرعة الضوء في الفضاء ثم يرجع الـــى الارض بعد سنتين من السفر في الفضاء فيجد أخـــاه قد مات ومر عليه قرنان .

وقال الله تعـــالى :

« وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّـــا

تَعُدُّونَ » 47/22

وقال أيضا :

« ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ » 5/32

وقال :

« تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ » 4/70

فان الزمان بمفهومه العادي المعروف لا بوجد في الكون ويظهر أن الزمان خاصية بشرية أما اذا أردنا أن نتجرد فلا نستطيع الا أن نصف ما نلاحظه بدون أن نعطي للزمان مقدارا أو ترتيبا أو أي علاقة بالوجود المعروف .

فلا يوجد في الكون حدثان آنيان أي حدثان قد وقعا في نفس اللحظة ولا يستطيع العلم أن يصوغ أو يقيس « نفس اللحظة »

فاذا اعتبرنا نقطة ما على أي شكل مثلا على مساحة الارض لا نستطيع أن نضبط نقطة مركزية على هذه

المساحة فكل النقاط لها نفس الخاصية ولا يوجد ترتيب بينها ولا نهاية لها مهما كان المكان الذي ننطلق منه . كذلك الكون من الناحية الفضائية والزمانية فلا يجوز لنا أن نقول بداية الكون أو نهايته مثلما لا يجوز أن نقول هذه النقطة هى مركز الكون وبدايته وهذه هي نهايته . فالزمان يعتبر ككل وكل ما نستطيع أن نعمله هو وصف ما نلاحظه .

واذا اعتبرنا في سائر الكتاب تاريخ الاشياء وتطورها كخلق الكون مثلا فذلك لأنه وسيلة لفهمها فقط ولكنها لا توجد حقا بهذا المفهوم كما ذكرنا .

وقد قال الله تعالى :

« سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ » 1/17

وقال أيضا :

« وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ

عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ
وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ فَكَانَ
قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ
مَآ أَوْحَىٰ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ
عَلَىٰ مَا يَرَىٰ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِندَ
سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ إِذْ
يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا
طَغَىٰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ» 53/1-18

فان الاسراء والمعراج وقعا فعلا وان الرسول صلى الله عليه وسلم صلى فعلا مع الانبياء والرسل وليست هذه معجزة بمعنى انها خرقت قوانين الكون لأن المكان والزمان هما فعلا هكذا . ان المعجزة في الاسلام بمفهوم الاعجاز الذي ليس في الوجود هو القرآن الكريم وقد بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم الى العالمين لأنه كلام الله موجه الى كل المخلوقات وقال الله تعالى :

« وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ » 21/107

ب - المجال

ومفهومنا هذا للابعاد الاربعة يفضي بنا الى فهم الفضاء الكوني بصفته متجانسا ولا متناهيا وفي نفس الوقت محدودا ولا يوجد أي بعد كوني بدون ارتباط بمادة أو بعبارة أخرى بطاقة أو بصفة أدق بمجال وهذا يعني أن الليل وهو انعدام مجال لا يتحقق في فضاء كوني متجانس أي أنه يستحيل أن يقع الليل في الفضاء ذي الابعاد الاربعة بمفهومنا السابق لها .

ولا يتحقق الليل الا اذا غيرنا مفهومنا هذا للفضاء . فاذا غيرناه لا نستطيع أن نفهم وجوده وهو زيادة على ذلك شفاف ويحتوى على مادة متبعثرة عديمة التكاثف . وهذا المشكل يسمى : « مناقضة السماء الليلى » .

وقد أقسم الله تعالى وقال :

« وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ » 89 / 4.5

وقال أيضا :

« وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ » 36 / 37

وقـــال :

« قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ » 72/28

★

3 - الكونُ

«إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي
الْأَلْبَابِ» —3/190—

- السماوات سبع وهي ذات الرجع

سنحاول في هذا الباب باذن اللـــه أن نصف الكون في حالته الحاضرة ثم ننظر في حركيته ثم في أصله وتطوره.

أ- السماوات السبع

انا لدينا اليوم معطيات علميـــة عديدة تدفعنا الـــى أن نقسم الفضاء الكونى كما يلي :

1) السمـــاء الارضيـــة : وهي سمكة الجو التى يبلغ ارتفاعها أربعين كيلومترا تقريبا * .

2) السمـــاء القمريـــة : فاذا ضربنا هذا العـــدد الذى يمثل بعد السماء الارضية فى عشرة آلاف مرة وجدنا قيمة بعد السمـــاء القمرية أي ما يقـــرب من أربع مائـــة الف كيلومتر .

3) السمـــاء الشمسيـــة : واذا ضربنـــا هذا العـــدد الأخير في عشرة آلاف مرة أخـــرى وجدنا ما يقرب مـــن أربع مليارات كيلومتر أي معدل قيمة شعاع سماء النظام الشمسي .

---

* حسب تقديرات بيو (Biot) وبوسينقولت (Boussingault) وهومبولد (Humboldt)

4) سماء النجوم القريبة : واذا ضربنا هذا العدد الأخير في عشرة آلاف مرة أخرى وجدنا خمس سنوات ضوئية * تقريبا وهو قيمة بعد مجموعة النجوم القريبة .

5) سماء المجرة : واذا ضربنا هذا العدد الأخير في عشرة آلاف مرة أخرى وجدنا خمسين الف سنة ضوئية وهو معدل قيمة شعاع مجرتنا .

6) سماء المجرات القريبة : واذا ضربنا هذا العدد الأخير في عشرة آلاف مرة أخرى وجدنا نصف مليار سنة ضوئية وهو بعد المجرات القريبة .

7) سماء الكون : واذا ضربنا هذا العدد الأخير في عشرة آلاف مرة أخرى وجدنا خمسة آلاف مليار من السنوات الضوئية وهذا البعد يفوق عمر الكون اذ أن عمر الكون لا يفوق خمس عشرة مليار سنة وهذا يعني اذا تكون جرم سماوي قبل خمس عشرة مليار سنة وابتعد بسرعة الضوء وهي أكبر سرعة نعرفها فى الكون وهو يبعث الينا نورا كي نتبين موقعه فلا يكون ذلك الجرم أبعد من خمس عشرة مليار سنة ضوئية . فيتضح

---

* السنة الضوئية هي المسافة التي يقتحمها الضوء مدة سنة بسرعة 300.000 كيلومتر في الثانية اى 10^{13} كيلومتر تقريبا .

اذن أننا بهذا الرقم الـذي هو خمسة آلاف مليار مـن السنوات الضوئية قد خرجنا من الحدود الكونية .

فهذه هي السبع سماوات حسب علم القرن العشرين لا نستطيع اليوم أن نفهم لماذا نفس هذه النسبة في الابعاد أي « عشرة آلاف »

والمعلوم أن هذه الأبعاد هـي في الحقيقة معدل قيمات المسافات فهي اذن تقريبية .

وهذه السماوات « طباق » اذ أنها تغلف بعضها بعضا كطبق على طبـق وهي أيضا « طبـاق » أي متساوية فى كيانهـا .

وأهم خاصيات هذه السماوات أنها « طرائق » أي أنها سبل تسرى فيها الاجرام السماوية ولا تختلف السماوات بعضها عن بعض الا باختلاف الأبعاد كما ذكرنا وباختلاف الاجرام التى « تطرق » فيها أي تسري ليلا فيها وهـي كلها في ليل سرمدي وهي شفافة بالنسبة للضوء .

وقد قال الله تعـالى :

« ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ »

29/2

وقال أيضـــا :

« تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ »

44 / 17

وقـــال :

« وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ » 17 / 23

« قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ »

86 / 23

« فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا » 12/41

« ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ طِبَاقًا » 3 / 67

« أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ طِبَاقًا » 15 / 71

والسماوات سبع مهما يكـــن المكان الـــذي منه ننظـــر اليها سواءا كنا على سطح الارض أو في مريخ أو خارج النظام الشمسي .... فان هذا التحليل يبقى دائما قائما ولم نفترض أبدا أننا في الأرض نمثل مركـــز الكون لان

الكون لا مركز له وكل مكان فيه يعتبر مركزا له ويتبين من ذلك أن المكان شأنه شأن الزمان كما ذكرناه سابقا وكلما ابتعدنا ــ اذا صح هذا التعبير ــ الا وارتمينا في المستقبل .

ب- والسّماء ذات الرجْع

ان الاجرام السماوية تدور كلها بعضها حول بعض أي تسقط بعضها على بعض أو ترجع بعضها الى بعض وقد قال الله تعالى :

« وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ » 11/86

واذا رمينا حجرة من سطح الارض تسقط بعد حين ويكون مسارها على شكل قطع مكافىء فاذا زدنا فى القوة الاولى الدافعة للحجرة أصبح مسارها الذي هو قطع مكافىء أكبر أي ذا فتحة أوسع والحجرة تسقط على الأرض على مسافة أبعد واذا زدنا شيئا فشيئا في قوة الدفع كبر القطع المكافىء وبعدت نقطة سقوط الحجرة أو رجوعها الى الأرض وذلك حتى لا تجد الحجرة الارض عند سقوطها اذ أن حجم الأرض محدود فتصبح الحجرة تدور حول الأرض مثل الاقمار الصناعية والاقمار الطبيعية فكلها تدور حول الارض لأنها تريد السقوط

عليها والرجوع اليها دون أن تجدها فتبقى تدور حولها •

كذلك نستطيع أن نقول ان كل الأجرام السماوية تدور بعضها حول بعض وهي تطرق السماء وتسقط وترجع بعضها الى بعض •

وعلاوة على ذلك فان كل ما يخرج من الارض أو من أي جرم سماوي يرجع اليه هكذا يرتفع بخار الماء في السماء ثم يرجع الى الارض ماءا أو ثلجا وينبثق الشعاع الكهرطيسى أي الامواج الأثيرية وتنعكس على الطبقات الأوزونية المرتفعة في الجو فترجع الى الارض والضوء نفسه يدور في الكون ويرجع بفضل جاذبية المادة المتبعثرة في الكون •

ج ـ الانفجارة الكبرى

ان السماء شديدة وفي اتساع متواصل كما قال الله تعالى :

« وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ » 47/51

وهناك في السماء أجرام تبتعد بعضها عن بعض بسرعة تبلغ 270•000 كيلومتر في الثانية أي بسرعة تبلغ تسعين في المائة من سرعة الضوء• وقد وقعت دراسة هذه الحركة بفضل تحول الضوء الاحمر في الطيف الضوئي لبعض

المجرات والملاحظ أن سرعة ابتعاد الاجرام تكون أكبر بقدر ما تكون الاجرام أبعد .

فاذا ابتعدت الاجرام السماوية بعضها عن بعض مثل هباءات غاز فينبغي علينا أن نعتبرها مثل الغاز ملتمة في أول الأمر والا كيف تكون قد تبعثرت .

وكل الاجرام السماوية كانت في أول الامر ملتمة على شكل دخان في حرارة مرتفعة لا تقل عن بعض المليارات من الدرجات المائوية وذكر هذه الحالة الأب لومتر البلجيكي سنة 1931 وقاموف الامريكي سنة 1945 وهذا الدخان يوجد على حالة المادة الاولى أي على شكل قسيمات وخاصة منها قسيمات الضوء الذي كان يملأ كل الفضاء .

فيلتم الدخان بعضه مع بعض بفضل الجاذبية فينهار بعضه على بعض ويتكثف ويرتفع الضغط وبه ترتفع الحرارة أكثر فأكثر الى أن تقع انفجارة وقد وقعت فعلا الانفجارة الكبرى (The Big Baug) منذ خمس عشرة مليار سنة وحدث هذا الانفجار في زمن لا يتجاوز بعض الدقائق وانبثقت منه موجة حرارية تلاحظ اليوم في الكون ولم يبق منها سوى 2،75 دجرة فوق الصفر المطلق .

د ـ الستة أيام

عند الانفجار تبتعد القطع بعضها عن بعض فتضيع

حرارتها وتبرد فمنها ما يظل غازا ومنها ما يصبح مائعا ومنها ما يبرد كثيرا فيتحول صلبا • وبهذا الشكل تنشأ الاجرام السماوية •

وقد قال الله تعالى :

« ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ » 25 / 59

وقال أيضا :

« قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ » 41 / 9-12

وقال أيضا :

« أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ » 30/21

فيتبين لنا أن الأيام هي المراحل التي تتلخص تقريبا كما يلي :

1 ــ الانفجارة الكبرى التي لم تدم الا بعض دقائق والسماء كانت كلها دخانا كثيفا متركبا من القسيمات المادية وخاصة من الضوء الأولى الذى هو الطاقة على شكلها الأول .

2 ــ بعد الانفجارة بقيت السماء طيلة مليون سنة بردت فيها ونقص الضوء شيئا فشيئا حتى أصبحت شفافة وسوداء .

3 ــ فى مرحلة ثالثة تكون طيلة مليارات من السنين غازان وهما الهيدروجين والهيليوم اللذان يوجدان في الكون تقريبا وحدهما بدون العناصر المادية الأخرى .

4 ــ في مرحلة رابعة يلتم هذان الغازان ويكونان النجوم التى يتكون فيها سائر العناصر الأخرى من الليثيوم الى الاورانيوم . وهذه النجوم تعتبر كالافران التى تطهى فيها العناصر الباقية .

5 ــ في المرحلة الخامسة تنفتق النجوم وتنفجر وتبرد القطع الناتجة عن الانفجار فتتكون أجرام حجرية في السماء يتراوح حجمها من حجم الغبار أى جزء من المليمتر الى حجم كبار الكواكب أي مآت آلاف الكيلومترات •

6 ــ في المرحلة السادسة تلتم هذه الأجرام الباردة الصلبة بعضها مع بعض وتتكون منها الكواكب ومن بينها أرضنا •

والمعلوم أن هاتين المرحلتين الأخيرتين ما زالتا جادتين فى مجرتنا •

وقد قال الله تعالى :

« أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا » 25/77

وقد قال الله تعالى فى الآية المذكورة :

« وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ » 12/41

فالمصابيح هي النجوم التي تولد النور مثلما تولده المصابيح وهذه النجوم تزين فعلا السماء •

فلنعتبر أقرب نجم الينا وهو سنتورى بروكسيما (Centaura Proxima) فهو على بعد أربع سنوات ونصف سنة ضوئية أي أن الضوء الذي يخرج من هذا النجم

يظل سائرا في السماء طيلة أربع سنوات ونصف سنة كي يصل الينا ففى اللحظة التى ننظر الى هذا النجم فهو يكون قد بعث نوره منذ أربع سنوات ونصف سنة لا ندري ماذا حدث له اثناءها فقد بارح المكان الذي كنا نظنه فيه • فلا نرى سوى مجرد زينة تخفي الحقيقة فما أبلغ هذه العبارة اذن : « وزينا السماء الدنيا بمصابيح »

هـ- اعادة الكون

ولكن المادة التي يتركب منها الكون ليست خالدة فهي أيضا تتبخر في الفضاء على أشكال متعددة منها الاشعاع والقسيمات ومثل ذلك قسيمة النيوترينو •

فتلتم هذه الطاقة الاشعاعية والمادية في ناحية هادئة واذا شاء الله ذلك تتراكم مرة أخرى وتصبح دخانا ترتفع حرارته مرة أخرى الى أن تقع انفجارة كبرى أخرى فينشأ كون آخر جديد هذا ما افترضه بونتيكورفو وسموردينسكى السوفييتيان •

وقد قال الله تعالى :

« أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ » 19/29

و- أصل الكون

فيتضح اذن أن كوننا ليس هو الأول ولا هو الاخير

ولكن السؤال المطروح الآن هـو : « من أين أتت المـادة الأولية التي منها خلـق الكون الاول ؟ » • فيجيب بعض العلماء : « غير معروف تماما » • ويجيب البعض الآخر : « من لا شيء » • ولكن كيف نقبل هذا الجواب ونحـن نعلم أنه لا شيء يأتي من لا شيء ولا شيء يؤول الـى لا شيء فكل شيء محفوظ وهو يتحول وهذا يعتبر مبدأ علميا أساسيا •

ويقول الله تعـالى :

« إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ 82/36 »

وهذا ما يتفق تماما مع مبدا العلم الحديث المذكور اذ أن ارادة اللـه هي التي بها يكون كل مـا في الكـون • فيتفق ايماننا مع تفكيرنا العلمي •

★

4 - الشَّمْسُ

« ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ » - 5/55 -

- وهي نجم سيتكور قبل ان يصل إلى مستقره الذي هو مركز مجرتنا.

أ- الشمس نجم

ان الشمس نجم كسائر النجوم التي تتركب منها مجرتنا وهي نجم متوسط الحجم قطرها 1390000 كيلومتر وتدور حول محورها في مدة تتراوح بين 25 و 30 يوما والارض تبعد عن الشمس بمسافة مقدارها 150000000 كيلومتر وهي تدور حولها دورة في سنة كاملة .

وتحتوي مجرتنا على نجوم كثيرة يبلغ عددها مائة مليار نجم منها شمسنا وشكل هذه المجرة يشبه شكل الصحن المنتفخ في الوسط وقطر مجرتنا مائة الف سنة ضوئية أي مسافة يعبرها الضوء بسرعة ثلاثة مائة الف كيلومتر في الثانية طيلة مائة الف سنة .

وتوجد شمسنا في طرف من أطراف المجرة على بعد 25000 سنة ضوئية من مركز المجرة وتدور الشمس مثل ما تدور كل النجوم الأخرى في المجرة بسرعة قدرها 280 كيلومترا في الثانية وتحصل الدورة الكاملة في مدة طولها 225 مليون سنة ولكن مدار الشمس في المجرة على شكل دائرة ذات شعاع متناقص أي على شكل دائرة حلزونية .

ب ـ والشمس تجري لمستقر لها

وقد قال الله تعالى :

« وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ » 38/36

وينقص شعاع مدار الشمس الحلزوني شيئا فشيئا حتى يصير صفرا حينئذ تصل الشمس الى محور المجرة والى مركزها الثابت والمستقر بالنسبة للشمس • وان كل الأجرام السماوية في المجرة تدور وتسعى الى المركز مثل الشمس التى دارت منذ خلقت عشرين مرة حول محور المجرة وبقيت لها ثمانون دورة للوصول الى هذا المحور وفي قلب المجرة ومركزها تذوب كل مادة وتصبح غازا اذ أن درجة الحرارة مرتفعة جدا تبلغ مآت الملايين من الدرجات المائوية وهذا يشمل الشمس أيضا عند وصولها الى محور المجرة ولكن الله تعالى لم يذكر في كتابه العزيز أن الشمس ستصل الى هذا المستقر الجهنمي •

ج - تكوير الشمس

ولكنه ذكر في سورة التكوير قوله تعالى :

« إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ
وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ
وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ »

6 .... 1 / 81

ان الشمس نجم تتركب من غازات يوجد فيها الهيدروجين بنسبة كبيرة على شكل مستدير تقريبا وهذا الغاز يتفاعل اليوم نوويا فتنتج عنه كل العناصر الطبيعية الأخرى الاثنين والتسعين تقريبا فالشمس مثل الفرن التى تتكون وتطهى فيه العناصر الطبيعية التى تتركب منها المادة .

وينتج عن هذا التفاعل النووى أيضا طاقة كبيرة جدا تتمثل في :

1 ــ ارتفاع حرارة الغاز الشمسي الى عدة مآت الملايين من الدرجات في داخله والى 6000 درجة على سطحه .

2 ــ في سطوع الضوء الكبير الذي يصل الينا اليوم

وقد قال الله تعـــالى :

« هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا »

5 / 10

وقال أيضـــا :

« وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا » 13/78

فيتبين لنا أن الله ذكر الشمس المضيئة كالسراج وذكر القمر العاكس لضوء الشمس والمنيـــر في كل الآيات التي ذكر فيها القمر • وهذا الفرق بين ضيـــاء الشمس وانارة القمر لم يكن معروفا في زمن نزول القرآن •

3 ــ في تبعثر الغازات السطحية من الشمس حتى ان بعض الاذيال الغازية الخارجة منها يمتد طولها الى أكثر من بعض مآت الآلاف الكيلومترات نستطيع أن نراها عند كسوف الشمس وتخرج منها الغازات في شكل رياح تصل الى نهاية النظام الشمسى وهى تسمى الرياح الشمسية•

ولكن كثافة المواد الجديدة الناتجة عن التفاعل النووي في الشمس أكبـــر من كثافـــة الهيدروجين فتلتم المـــادة الشمسية وكأنها تتميع وتبقي فراغا كبيرا داخلها وتصبح الشمس كالاسفنجة فعندما تتوفر الشروط التي لا نعرفها اليوم كلها بالضبط علميـــا تصبح الشمس نجمـــا جديدا (Nova) وهذه العملية تدوم من ساعات الى أيام تنهار

المادة التي تتـــركب منها الشمس بعضها على بعض بفضل الجاذبية وتتكور الشمس وتلتف الغـــازات بعضها حـــول بعض وينتج عن ذلك طاقة هائلة جدا تساوي بعض مآت الآلاف من الطاقة التى تتولد منها اليوم •

وتتركب هذه الطـــاقة الجديدة الهائلة مـــن عدة عناصر نذكر منها العنصر الاساسي وهو العنصر الجاذبي وذلك بسبب الضغط المتولد عن تراكم المادة التي نتجت سابقـــا عن التفاعل النووى تراكما بعضها على بعض فيصدر من الشمس حينذاك اشعة كثيفة جدا وضوء غزير جدا يذهب بكل ما في كواكب النظام الشمسي بما فيها الارض نفسها وتتطور العملية في الشمس الى تفاعلات أخرى ومن نوع آخر لا تهمنا دراستها الآن اذ أن الحياة على أرضنا تكون قد انتهت بعد •

وهذا الحدث وقع مـــرارا فى أماكن متعددة من الكون ولكن لا يستطيع اليوم أى انسان أن يتنبأ به ولو بصفـــة تقريبية •

يقول الله تعالى : « اذا الشمس كورت » أي انهارت مادتها بعضها علـــى بعض والتفت غازاتهـــا بعضها حول بعض وتكورت فأصبحت نجما « جديدا » كما سبق بيانه فتخرج منها تلك الطاقة الاشعاعية الهائلة •

« واذا النجوم انكدرت » انكدر مشتق من كدر نقيض

صفا أي اذا النجوم احتجبت عنا من جـراء شدة اشعاع الشمس وضيائها وذلك سواء أكـان نهارا أم ليلا اذ أن الليل الذي تظهر عنده النجوم يـزول بسبب كثرة ضياء الشمس الجديد فيصبح النظام الشمسى كله ضيـاءا لا ليل فيه •

« واذا الجبال سيـرت » أي ابعدت عن وجه الارض وسارت فى السماء غبارا منثورا كما يسيـر السحاب وان للضوء الخارج من الشمس ضغطا اشعاعيا قادرا على أن يخرق أية مادة ويجعلها غبارا يجري بسرعة كبيرة أمـام الاشعة الشمسية التي تبعثرها في الفضاء الكوني •

« واذا العشار عطلت » فهذا الحدث العظيم لا تتعطل اثره العشار أي الحوامل فقط بل تتعطل أيضا اثـره كل معاشرة وتعاشر اذ أن كـلا يبحث عـن المواقع الباردة ليلتجىء اليها ظنا منه أنه سينجو مـن هذا اليوم الذي ذكره الله فى آيات عديدة منها :

« فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَٰحِبَتِهِ وَبَنِيهِ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ » 80 / 33..37

ان البشر عندما يخـاف يفر بعضه مـن بعض وأمـا الحيوان فيلتم بعضه مع بعض •

« واذا الوحوش حشرت » خوفا من هذا اليوم العظيم وهي تجري باحثة عن البقاع الباردة ولا شيء في الأرض أكثر برودة من الماء وخاصة ماء البحار .

« واذا البحار سجرت » أي تبخرت هي أيضا بانحلال الماء الى هيدروجين واكسيجين فيصعدان في الجو حيث توجد برودة نسبية ويتركبان مرة أخرى فيشتعلان وسجرت أي تبخرت واشتعلت وهذا ما يقع بالضبط للبحار فلا برودة في البحار حتى يلجأ اليها فلا مفر اذن في هذا اليوم العظيم ولا منه .

وقد قال الله تعالى واصفا نفس عملية التكوير :

« فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ »

10..7 / 75

وصلت الى الانسان هذه المعاني منذ 14 قرنا ولم تكن قد ذكرت فى أية حضارة من قبل ولم يكن الانسان يعرف في ذلك الزمن المعطيات الفلكية البسيطة فكيف يستطيع أن يتنبأ بمصير الشمس بهاته الدقة ؟ ذلك هو مظهر آخر من مظاهر الاعجاز العلمي في القرآن .

★

5 - الأَرْضُ

« وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ » - 10/55

- الارض سبعة وقد جعلها الله لنا مسطحة وهي على شكل دحيت

أ- الأرض كوكب

الارض كوكب مثل الكواكب العديدة التى تدور حـــول الشمس وتكون النظام الشمسي وقطـــر الأرض يبلـــغ 12735 كيلومترا وهي تدور حول الشمس في مدة طولها 365،25 يوما والارض تدور حول محورها دورة كاملة في يوم واحد كما هو مذكور في القرآن الكريم :

« يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ » 39/ 5

وقد اكتشف ذلك البيروني في القرن العاشر مسيحيا •

والارض مستديرة نصفها الجنوبي ناتـــيء أكثر مـــن نصفها الشمالي فيبدو شكلهـــا كالاجاصة أو كالبيضة أو الدحية كما قال الله تعالى :

« وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ » 30/79

ب- الارض مسطّحة

ولكن لا تظهر لسكانها مستديرة بل مسطحة ومنبسطة تلك آية الله اذ أنه احكم حجمها حتى :

1) لا تكون صغيرة بالنسبة للانسان فتصعب الحياة عليها لأنه لو كانت صغيرة :

أ) لظهر شكلها المستدير جليا فتصعب التحركات عليها ويصعب انشاء البناءات فيها والطرقات وغير ذلك اذ أن الاشكال الهندسية تكون غير مستقيمة .

ب) ولضعفت فيها الجاذبية فيذهب هواؤها في الفضاء وكذلك ماؤها وينتج عنه فرق كبير جدا بين حرارة الليل وحرارة النهار ولا حياة تصبح ممكنة عليها .

2) ولا تكون كبيرة جدا لأنه لو كانت كبيرة جدا :

أ) لاصبح سطحها لا نهاية له نسبيا .

ب) ولقويت الجاذبية فيها كثيرا فتتغير المعطيات الطبيعية فيها ويرتفع ضغط الهواء فيها وكذلك حرارته فتصعب الحركة عليها وتستحيل الحياة فيها .

فالارض مستديرة بقطر مناسب وهي آية من آيات الله حتى تبدو لنا منبسطة فنرتاح فيها وكل شيء فيها مقبوض عليه بفضل الجاذبية الكافية كما قال الله تعالى :

« أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا » 25/77

تتقلب ظهرا لبطن بفضل دورانها ماسكة هواء جوها .

وقال أيضـــا :

« ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً » 22/2

وقـــال :

« ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا » 53/20

« وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا » 19/71

« وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ » 48/51

ج - جو الأرض

اذا ارتفعنا في سمـــاء الارض انخفض الضغط وأصبح الهواء ضئيـــلا وانخفضت الحرارة الى درجة صغيـــرة وأصبحت الرطوبة قليلة جدا حتى ان الحياة تضمحل تماما بعد أربعين كيلومترا تقريبا .

وهذه الطبقة الهوائية هـــي التى تقينا مـــن الشعـــاع الشمسي البنفسجي الذي يذهب بكل حياة .

والمعلوم اليوم أنه كلما صعـــد الانسان على جبـــل أو ركب طائـــرة ارتفعت في الجو الا وشعر بقلة الهـــواء في

الجو الأعلى • فيجهد نفسه للتنفس ويسرع النفس لانه يشعر بأن صدره قد أصبح ضيقا لا يكفيه الهواء الذي يتنفسه عادة فهو يشعر وكأنه يختنق •

وقد قال الله تعالى :

« فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ » 125/6

فكيف علم محمد عليه الصلاة والسلام كل هذا ولم يعرف الانسان وقتئذ أسلوبا يصعد بفضله الى السماء • هذا دليل آخر للاعجاز العلمي في القرآن •

د ـ مرُور الجبال

تتركب الارض من ثلاثة أجزاء :

1 ــ الطبقة الخارجية « سيال sial » وعمقها سبعون كيلومترا تقريبا في القارات وخمس عشرة كيلومترا في المحيطات • ومن هذه الطبقة الخارجية تتكون القارات

الخمس وكذلك أعماق البحار وهي طبقة خفيفة تطفو فوق الطبقة السفلى الصلبة •

2 ــ الطبقة المتوسطة « سيما Sima » التي تصل الى عمق 2900 كيلومتر تقريبا وهي صلبة وكثيفة وترتفع فيها الحرارة الى أكثر من ألف درجة مائوية •

3 ــ الطبقة المركزية « نيف Nife » وهى تصل الى مركز الارض •

والطبقة الاولى أي الطبقة الخارجية تتركب من سبع صفيحات الواحدة بجانب الاخرى تطفو كلها على الطبقة المتوسطة والمتواصلة بدون انشقاق • وقد قال الله تعالى:

« وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ » 86 / 12

وصدع الشيء أي شقه ولم يفترق وهذه هي الصورة المضبوطة للارض فهي مشقوقة وغير مفترقة •

وتتحرك هذه الصفيحات بسرعة بعض الصنتيمترات في السنة أي آلاف الكيلومترات في الملايين من السنوات والمعلوم أن عمر الأرض يبلغ 4،5 مليارات من السنين تقريبا وهي في تطور مستمر في مستوى المحيطات اذ أن هذه الصفيحات السبع تندثر في الطبقة المتوسطة في بعض المناطق كالمحيط الهادي ومثلها كمثل السحاب الذي يبدو ساكنا وهو يتحرك شيئا فشيئا وتذوب جوانب منه في

هواء الجو وتنمو جوانب منه في جهات أخرى كذلك تتغذى وتنمو الصفيحات الارضية في مناطق أخرى كمحيط الظلمات مثلا •

وللجبال دور كبير في هذا التطور اذ أن الضغط المادي الذي ينتج عن وزنها الكبير يحد من التنقل الأفقي للصفيحات ويهدىء ذبذبتها العمودية هذه الذبذبة التي تستطيع أن تقلب أحيانا القشرة الارضية الرسوبية رأسا على عقب •

وهذا ما عبر عنه القرآن الكريم بدقة علمية تثير الدهشة اذ قال الله تعالى :

« وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ » 27 / 88

وقال :

« أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا »

78 / 6-7

وان للجبال دورا بالنسبة للطبقة الخارجية يماثل تماما دور الوتد بالنسبة للخيمة وان ما نراه من حجم الجبل

فوق سطح الأرض لا يمثل الا قليلا من حجم الجبل الذي يمتد الى الطبقة المتوسطة وينغرس فيها كما يغرس الوتد في الرمال .

« وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ» 33-32/79

« وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ » 10/21

« وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ»

31/21

هـ - الأرض سبع

قال الله تعالى :

« ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ»

12/65

فمكونات الأرض عددها سبعة أيضا وذلك سواءا كانت الابعاد مجهرية أي صغيرة جدا أو على حجم قياس الانسان .

فيظهر بكل وضوح في الجدول الدورى للعناصر

الطبيعية أن العناصر التي تتركب منها الأرض تنقسم الى سبعة أقسام حسب عدد طبقاتها أو مداراتها الالكترونية حول النواة الذرية ولا ثامن لها وهي الطبقات المسماة : Q. P. O. N. M. L. K فقط •

وفي جدول البلورات المسمى بجدول برافى (Bravais) فان عدد البلورات المادية هي أيضا سبعة أشكال وتبين الرياضيات أنه لا ثامن لهذه الاشكال البلورية •

واذا نظرنا في جدول الارقام السحرية النووية وجدنا أن الطبقات النووية سبع أيضا وتسمى الارقام 2 — 8 — 20 — 50 — 82 — 126 أرقاما سحرية لانه عندما يبلغ عدد القسيمات النووية أي عدد النيوترونات أو البروتونات أو الاثنين معا رقما من هذه الارقام فان النواة المكونة تصبح مستقرة استقرارا غاية في الاستقرار وثابتة ثباتا شديدا

«صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ» 88/27

و- في المجالات سبع

والمعلوم ان الارتباطات المادية تنتج دائما عن تفاعلات في مجالات مختلفة لا نعرف منها سوى :

1) المجال الجاذبـــي :

اذا اعتبرنا الكون كله الذي لا شيء في الدنيـــا أوسع منه واجرامه السماوية المتصلة بعضها ببعض بفضل القوى الناتجة عن وجود المجال الجـــاذبي فهي سبع سمـــاوات طباقا كما وقع بيانه .

2) المجال الكهرطيسي :

أ) اذا اعتبرنا المادة التي تتركب منها الأرض وذراتها الصغيرة جـــدا الثابتة بفضل القوى الناتجة عن المجـــال الكهرطيسي فهي سبع مجموعات حسب الجدول الدوري للعناصر الطبيعية .

ب) اذا اعتبرنا هباءات المـــادة في الارض واتصالهـــا بعضها ببعض بفضل القوى الناتجة عن المجال الكهرطيسي أيضا وتكوين البلورات منهـــا فهي أيضا سبع مجموعـــات بلورية حسب جدول المجموعات البلورية .

3) في المجـــال النووي :

اذا اعتبرنا المـــادة التي تتركب منها الأرض ونواتهـــا المستقرة استقرارا شديدا بفضل القوى الناتجة عن المجال النووي فان هذه النواة سبعة أشكال أيضا حسب جدول الارقام السحرية .

ولم يكن لمحمد عليه الصلاة والسلام مجهر ولا مرصاد كي يتمكن من اكتشاف هذه النتائج العلمية الدقيقة فهـذا يدل مرة أخرى على أن القرآن وحي الهي لا ريب فيـه وانه كتاب علم وهذا لا يعني انه يحتوي علـى المعادلات العلمية والنظريات العلمية .... ولكنه يعني أنه نابع من روح العلم وجوهره كما أن القرآن معجزة بلاغية فهذا لا يعني انه يحتوي على قواعد البلاغة ولكنه يعني أنه نابع من روح البلاغة وجوهرها فالقرآن معجزة علمية أيضا وما اوتينا من العلم الا قليلا .

★

6 ـ القمر

«هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ» — 5/10 —

ـ القمر أحسن ساعة لنا في الفلك ولا يعلم أحد سوى الله وقت ظهور الهلال

أ ـ القمر كوكب منير

ان القمر كوكب يدور حول الارض وأهم مقاييس مداره هي * :

ـ مدة الدورة الفلكية : 27 يوما و 7 ساعات و 43 دقيقة و 11'5 ثانية

ـ مدة الاقمار : 29 يوما و 12 ساعة و 44 دقيقة و 2'8 ثانية

ـ مدة الدوران الشاذ : 27 يوما و 13 ساعة و 18 دقيقة و 33'1 ثانية

ـ معدل نصف المحور الكبير: 384400 كيلومتر

ـ معدل انحراف المحور : 0'0549 كيلومترا

ـ معدل مسافة الحضيض : 363300 كيلومتر

ـ المسافة الادنى للحضيض: 356500 »

ـ معدل مسافة الاوج : 405500 »

ـ المسافة الادنى للاوج : 406800 »

ـ معدل الانحراف عن فلك البروج : 5°8'43"

---

* قاموس علم الفلك لاروس (باريس)

وقد قال الله تعـالى :

« هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا »
5/10

وقال أيضـا :

« وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا »
16/71

وقـال :

« تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا » 61/25

فميز الله تعالى بين ضياء الشمس التي تولـد الضياء مثل السراج وبين النور المنعكس على سطح القمـر ولم يذكر أبدا أن القمر سراجا أو أنه مرتفع الحرارة خلافا لما يقال في زمن نزول القرآن .

ب- القمر ساعة عالميـة

والقمر يدور حول الارض في سنة قمرية وهي المـدة

التي يحقق فيها القمر دورته الكاملة حول الارض وطول هذه المدة هي بين 29 و 30 يوما • وفي نفس المدة يلف القمر حول محوره لفة واحدة مثلما تلف الارض حول محورها لفة واحدة كل يوم • فلفة واحدة للقمر تعتبر أيضا يوما قمريا • وتكون هكذا السنة القمرية تعادل بالضبط يوما قمريا • فلذلك يوجه الينا القمر دائما نفس المنطقة منه ويخفي علينا دائما نفس المنطقة الاخرى •

ويدور القمر حول الأرض من الغرب الى الشرق • ويدور حول الأرض مرة واحدة عندما تلف الأرض حول محورها في نفس المدة ثلاثين مرة تقريبا • وهذا يعني أنه عندما يدور القمر حول الأرض بهذا البطء الكبير الذي لا يفوق الجزء الواحد من الثلاثين من مداره يراه كل سكان الارض على السواء ولكن بما أن كل انسان يستطيع أن يرى القمر كل مرة طيلة نصف يوم تقريبا فانه عندما يدور القمر حول الأرض تراه الانسانية على السواء بفرق بين المشاهدة والمشاهدة الموالية لا يفوق النصف من الجزء من الثلاثين من مداره أي لا يفوق الجزء من الستين من مداره • فهو أحسن ساعة عالمية فى الفلك للبشرية جمعاء لأن كل انسان يستطيع أن يراها ويقيسها بنفس المقياس أي نفس بداية الزمن ونفس مدته بلا أى عامل اصطلاحي أو اصطناعي • فالقمر أحسن نواس طبيعي مضبوط •

ولذلك قال الله تعـــالى :

« يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ » 189/2

ج ـ التوقيت الشّـمسي

ان التوقيت الشمسي يتركب من السنة ثم الشهـــر ثم الاسبوع ثم اليوم .

1 ــ السنة الشمسية :

ان السنة الشمسية هـــي مدة الدورة الكـــاملة للارض حول الشمس وهي تدوم 365،25 يوما أي أن الأرض لا تدور حول الشمس في عدد كامل من الايـــام . وأول يوم في السنة الشمسية مصطلح لا يقـــابله أي حدث فلكـــي يستطيع أن يلاحظه الانسان بسهولـــة فكان على السنـــة الشمسية أن تبدأ مثلا يوم يكون فيه النهار أطول نهار في السنة أو أقصره أو معتدلا مع الليل . ولكن أول يناير أي مستهل السنة الشمسية لا يقابله أي حدث فلكى بسيط .

2 ــ الشهر الشمسى :

وتنقسم السنة الشمسية الى اثني عشر شهرا والشهر هو المدة التى يدور فيها القمـــر حول الأرض دورة كاملة فهي سنة قمرية كما بينا وننتقل هنا مـــن السنة الشمسية

وطولها 365 يوما تقريبا الى السنة القمرية وطولهـا 30 يوما تقريبا •

وهذا خلل كبير في التوقيت الشمسي اذ كان علينا أن نقسم السنة الشمسية الى أربعة أشهر يكون طول الشهر فيها تسعين يوما تقـريبا وذلك تناسبا للاربعة الفصـول السنوية : الربيع والصيف والخريف والشتـاء وتكـون أسماء الاشهر الاربعة هي أسماء الفصول الاربعة يقابلها احداث فلكية مضبوطة ويستطيع أن يشاهدها أي انسان•

3 ــ الاسبـوع :

وفي الشهر أربعة أسابيع تقريبا تناسب الاقمار الكامل فالاسبوع أيضا لا يناسبه أي حدث فلكي مضبوط يتصل بالشمس •

4 ــ اليـوم :

وفي الاسبوع سبعة أيام واليوم هو مـدة لف الأرض حول محورها مرة كاملـة وهذه اللفـة الكاملة متصلـة بالأرض وحدها لا بالشمس • وتكون هذه اللفة في مـدة تقاس بالنسبة للشمس أو للقمر أو لأي نجم آخـر على حد السواء تقريبا •

ويبدأ كل يوم من منتصف الليـل فيتحول مثلا يـوم

الاثنين يوم ثلاثاء في نصف الليل الذي بينهما ولا يوجد أي حدث فلكي لمشاهدة ولادة يوم الثلاثاء مثلا • ويكون نصف الليل الاول ليوم الاثنين ونصف الليل الثاني ليوم الثلاثاء فلا نستطيع أن نطلق اسما على الليل مثلما نطلقه على النهار •

ولكن عند العرب يبدأ اليوم عند غروب الشمس وينتهي أيضا عنده اليوم السابق فغروب الشمس حدث فلكي يستطيع أي انسان أن يشاهده فى أي مكان ويبدأ اليوم عند العرب بالليل ثم يليه النهار • فاذا كنا في يوم الاثنين ينتهي هذا اليوم عند غروب الشمس وتبدأ ليلة الثلاثاء ثم يليها نهار الثلاثاء فنستطيع هنا أن نطلق اسما على كل ليلة مثل ما نفعل لكل نهار • فتكون الايام متكونة من نهر وليال لكل منها اسم مضبوط •

د ـ التوقيت القمري

1 ــ السنة :

وهي نتركب من اثني عشر شهرا أيضا •

2 ــ الشهر :

وهي المدة التي يدور فيها القمر دورة كاملة حول الأرض من الغرب الى الشرق • فهذا الشهر هو في

الحقيقة السنة القمرية أي أن القمر مثل الأرض بالنسبة للشمس يدور دورة كاملة حول الارض في مدة تسمى السنة القمرية وفي نفس هذه المدة يلف القمر حول محوره لفة واحدة كاملة أي أن السنة القمرية تساوي بالضبط دائما يوما قمريا وهذا مهم جدا لأنه يعطينا نسبة لا كسر فيها بين السنة واليوم لا كما نجده فى السنة الشمسية التى هى 365،25 يوما • فينتج عن ذلك بالنسبة الى الأرض أشهر قمرية أقرب ما تكون الى التعادل •

ويبدأ الشهر عند ولادة الهلال أي عند غروب الشمس وبما أن اليوم يبدأ أيضا عند غروب الشمس فان التناسق يصبح كاملا ومضبوطا •

3 ــ الاسبوع :

وهو ربع زمان الاقمار وفي التوقيت القمري فان الاسبوع يناسب فعلا أحداثا فلكية عديدة بالنسبة للقمر مثلا انارة القمر كاملا يكون في اسبوعين بالضبط •

4 ــ اليوم :

وهو نفس الشيء أي مدة لف الأرض حول محورها مرة كاملة وهذه اللفة الكاملة متصلة بالأرض وحدها ويبدأ اليوم عند غروب الشمس •

هـ- ولادة الهـلال

واذا قارنـا التوقيتين الشمسي والقمري اكتشفنا أن التوقيت الشمسي يستعمل في الحقيقـة التوقيتين معـا ولكن بصفة غير منتظمة وأنه ليس لهذا التوقيت أي فضل سوى تكرار بعض النشاطات السنوية للانسانية كالزراعة مثلا تقـع في نفس الأوقات ولا تتـاسب في التـوقيت الشمسي ولا تناسق بين المشتقات .

لكن التوقيت القمـري هو قمري بحت وهو مضبـوط ويعتبر القمر ساعة عالمية للانسانية ويـراه كل انسان في المعمورة على حد السواء ولم يبق لنا الا أن نحدد بداية كل شهر قمري بالنسبة للأرض أو بداية كل سنة قمريـة بالنسبة للقمر أي ولادة الهلال .

ان القمـر كوكب يدور حـول الأرض ولكنه يخضـع لتأثيرات كواكب ونجوم عديدة أهمهـا الشمس وكواكب النظام الشمسى القريبة .

فـاذا كان القمـر وحده يدور حول الأرض فان حـل المشكل سهل جدا اذ أنه مشكل جـرمين نعرف معادلـة تفاعلهما .

ولكن المشكل هنـا هو مشكل تفاعل أجـرام سماوية متعددة وليس لهذا المشكل حل الا بصفة تقريبية نستعين لحله بالمشاهدة والملاحظة التجريبية .

فاذا أطلقنا قمـرا صناعيا فى الفضاء مثلا وأردناه أن يكون على مدار معين لما استطعنا أن نحقق ذلك مسبقـا أبدا للسبب الذي ذكرناه أي أن القمر الصناعي يقع تحت تأثير أجرام سماوية متعددة فلا نستطيع أن نتنبأ بمداره أبدا ولكننا نستطيع أن نتتبع سيره بفضل مشاهدته فنغير في كل وقت مساره اذا لزم ذلك الى أن يصير على المدار المطلوب •

هذا بالنسبة للاقمار الصناعية التـي يستطيع الانسان أن يتحكم فى سيرها فكيف يكون الأمـر بالنسبة لقمرنـا الطبيعي ولقد قال عنه مـولار البحاث الفلكي في مخبـر الرصد بباريس في كتابه « قاموس الفلك » :

« لقد اعتبرنا معدل العناصر • فحركة القمر في الواقع من أكبـر الحركات تعقيدا وذلـك للتأثيرات المتداخلـة الموجودة بين الشمس والأرض في مواقعها المتغيـرة وان العديد من علماء الفلك المتخصصين في الرياضيات أنهكوا قواهم في هذا العمـل وكرس البعض منهم حياته مثـل « ديلونى » لدراسة نظرية الحركة القمرية فسرعان مـا احتاجوا الى تكهنات كثيـرة حول مواقعه نظرا للكسوف وخاصة كسوف الشمس الذي لا يظهر تماما الا في رقعـة صغيرة من الاقطار وتتغير عناصر الدورة القمرية كلهـا وتتفاوت قيمتها تفاوتا كبيرا يقرأ له حساب عند تقديـر

مواقعه ولا تثبت صحة نتيجة حساب المواقع الا بطريقة المشاهدة الدقيقة وخـاصة بفضل انخساف بعض النجوم وراء القمر » •

وزيادة على ذلـك فان حـرارة هواء الجـو وضغطه ورطوبته ••• تؤثر كلها تأثيرا كبيرا في عامل انكسار نور الهلال ولا يولد الهلال عموديا بل أفقيا تقريبا فان لعامل انكسار النور الجوى تأثيرا شديدا في ظهور الهلال فيتغير وقت ظهور ولادة الهلال مع تغيـر ظروف الهواء الجوي أيضا • وما من أحد يستطيع أن يتنبأ بظروف هواء الجو في وقت ما بدقة كافية •

وتتراكم كل هذه الاخطاء وتتجمع لتبلغ أكثر من خمسة في المائـة ولو اننا فعلا قسنا مدار القمر بخطـا مقداره 5 ٪ لكان هذا القياس مقبولا علميا • ولكن ماذا يمثـل 5 ٪ من مدار القمر زمنيا ؟ لقد قلنا ان القمـر يغيب عن المشاهد كل يوم مدة معدلها نصف يوم أي جزء من الستين من المدار الكامل للقمـر وهذا يعني أن خطأ يقدر بخمسة في المائـة من المدار يعتبـر يوما ونصف اليوم أو بصفة أخرى : 30 يوما ×0،05=1،5 يوما • وهذا يدل على أن العلم يقبل خطأ في زمن ظهور الهلال يقـدر بيوم ونصف اليوم •

وهذا يدل مرة أخرى أن معرفة زمن ولادة الهلال مـن

علم الغيب لا يستطيع ولن يستطيع أن يتنبأ بها أحد ولا تقع بداية الشهر القمري الا بالمشاهدة مباشرة أو بالآلات المرصدية •

وأما اذا شوهد الهلال في مكان ما على الارض فقد بدأ الشهر بالنسبة لكل الانسانية لأن الهلال من وقت ولادته يزداد حجما باستمرار وهو يولد في كل مكان على حد السواء بالنسبة لجميع البشرية •

و- اصلاح التوقيت

ينبغي على المسلمين ان يصلحوا نظام توقيتهم الحالي وهم الذين :

1 ــ اعطوا للبشرية آلة التوقيت وهي الساعة في جميع اشكالها : شمسية وميكانيكية ••••

2 ــ وقاسوا الدورة الكبرى الارضية واثبتوا للمرة الاولى في الدنيا أن الأرض تدور حول الشمس « البيروني » وفسروا الكسوف والخسوف « حسن بن الهيثم » تفسيرا علميا وأتوا بأهم معطيات علم الفلك الحالي •

3 ــ ويحسبون مواقيتهم بالقمر وهو أحسن نواس فلكي طبيعي للبشرية كلها على حد سواء •

4 ــ ويكسبون المفهوم الصحيح للزمان وهو ما أتى به القرآن الكريم كما وقع بيانه •

7 ـ الماء

«وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ»

ـ 30/21 ـ

ـ وهو أساس كل حياة وبين البحرين برزخ والله
هو الذي ينزل الغيث

أ- خاصياته المعدنية

الماء عنصر أساسي في تكوين جسم الانسان الذي يحتوي على 76 ٪ منه وهو العنصر الاساسي لتكوين كل كائن حي الذي يتحمل الجوع عشر مرات أكثر مما يتحمل العطش وقد قال الله تعالى :

« وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ » 45/24

وقال أيضا :

« وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ » 53/20

وقال أيضا :

« وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ » 30/21

وهذا يعني أولا أن كل الكائنات الحية أصلها تكون في

الماء وثانيا أن كل الكائنات الحية تتركب أساسا من المـاء وهذان المعنيان صحيحان علميا •

وتتطلب بيضة دجاجة توفير 600 لتر من المـاء العذب لتكوينها وكذلك الف لتر من الماء لكيلو غرام من السكـر والف وخمسمائة لتر لكيلو غرام مـن القمح وأربعة آلاف لتر لكيلو غرام من الأرز وعشرة آلاف لكيلو غرام مـن القطن •

وفي ميدان الصناعة يتطلب كيلو غرام ورق توفير 350 لترا من الماء العذب وكذلك 400 لتر لكيلو غرام من الفولاذ و 1350 لترا لكيلو غرام من الألومنيوم •

ويتـركب المـاء مـن ذرتين هيدروجيـن H_2 وذرة اكسيجين « O » ويرمـز الى الماء بصغة : H_2O• وهـو اكسيد الهيدروجين ويوجـد في الارض مثـل ما توجـد الأكاسيد الاخرى لان الهيدروجين معدن على شكل غـاز مثلما يكون الـزئبق معدنا على شكل مائـع في الظروف العادية من حرارة وضغط •

ويوجد في الأرض أكسيد الحـديد وهو من مكونـات القشرة الارضيـة وكذلـك أكسيـد السيليسيوم وهـو الرمل ••••

فالماء أيضا أكسيد المعدن الذي هو الهيدروجين وهـو

يعتبر من المواد الاولية الذي تتركب منها الارض فلذلك قال الله تعالى أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا 31/79

وكان الماء ممزوجا بكل المواد الاخرى عند خلق الارض التى نستطيع أن نمثلها باسفنج مملوء ماءا ولما تكورت بسبب القوى الجاذبية وانهارت المادة المكونة للارض بعضها على بعض مثلما نضغط بأيدينا على قطعة اسفنج مملوءة ماءا خرج الماء منها وبقى على سطح الأرض فتكونت البحار والمحيطات .... وما زال الماء يخرج منها على شكل ماء معدني وهو الماء الذي تكون منذ خلق الأرض أي منذ 4،5 مليار من السنوات .

لفظة « معدني » تدل بالاحرى على أنه ماء عتيق مثل المعادن الاخرى التي تكونت عند خلق الارض ويمتاز هذا الماء العتيق بخاصيات لا نعرف عنها الكثير اليوم .

فيتبين أن منبع الماء الأول ليس الجو أو السحاب أو المطر بل جوف الأرض وهذا يتفق تماما مع ما ذكره الله تعالى بوضوح في كتابه العزيز .

ب- الدّورة المائية

بعدما يخرج الماء من منبعه الأولى وهو بطن الأرض يتبخر بفضل حرارة الشمس . ان تبخر غرام من الماء يتطلب ست مائة حريرة وبفضل الحرارة الشمسية التي

تقدر بمعدل 750 واطا (Watt) على المتر المربع من الأرض يتبخر الماء من سطح الأرض كلها على عمق معدلـه 85 صنتيمترا سنويا •

وهذا ما ذكره الله تعالى في قوله :

« وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا » 78 / 13...16

ملخصا الدورة المائية •

والمعلوم أن قـوة الحرارة الشمسية تبلغ في الصحاري العربية ضعف المعـدل المذكور أي 1500 واط على المتـر المربع الواحد وأن المساحات الاكثر تبخيرا للمـاء ليست هي دائما الأكثر امطارا •

ولا يستطيع أن يقبـل الجو أكثر مما يتبخر من المـاء خلال عشرة الى اثنـي عشر يوما فقط أي أن الجـو لا يستطيع أن يخزن أكثر من $15 \cdot 10^{12}$ متر مكعب من الماء أي خمسة عشر ألف مليار من المتـر المكعب من الماء وهذا يمثل جزءا من مائة الف من ماء المحيطات وجزءا من ثلاث مائة من المياه الجوفية •

ويتحول هذا البخار الجوي ماءا أو ثلجا ويسقط على سطح الأرض على شكل مطر أو ثلج ويسقط سنويا على

الأرض كلها ماءا معدل عمقه أقل من 85 صنتيمترا أي ما يساوي تقريبا الكمية التي تبخرت من قبل •

والمعلوم أن البخار المائـــي لا لون له فلا يرى في الجو سوى الضئيل منـــه الذي يتميع مـــاءا أو يتصلب ثلجـــا فيصبح سحابا بدون أن ينـــزل على سطح الأرض • ولا تحتوي السحب الكائنة باستمرار في الجو الا على اثنين في المائة من البخار الجوي •

وان مساحة المحيطات ثلاث أرباع مساحة الأرض كلها فلذلك يسقط على المحيطات ثلاثة أرباع كمية المـــاء التي تسقط من السماء •

وقد قال الله تعـــالى :

« وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَـــابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ » 34/36

وقال أيضـــا :

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًـــا أَلْوَٰنُهُ » 39 / 21

وهذا يـــدل على ان الدورة المائية من تبخيـــر وتمييع مذكورة بدقة علميـــة في القرآن لم تعرفها البشرية قبـــل نزوله •

والمـاء هو أساس كل حيـاة وكل خيرات على سطح الارض ولهذا فكر العلماء كثيرا في الرفع من كمية المـاء التي تنزل سنويا من السماء ولا يكون ذلك الا بوسيلتين :

1 ــ الرفع من كميـة البخار الجوي بسبب الرفـع في الطاقة الحرارية التي تتقبلها الارض سنويا وهذا مستحيل لسببين :

أ ــ ان ارتفاع كمية البخار لا يغير توزيع كميات الماء على سطح الارض فان البقاع الممطرة تصبح أكثر امطارا اما البقاع الجافة فتصبح أكثـر جفافا لارتفاع درجـة الحرارة على سطح الارض .

ب ــ ان ارتفاع درجة الحرارة علـى سطح الأرض يشكل خطرا كبيرا للكائنات الحية وارتفاع درجة الحرارة الحالي على سطح الارض والناتج عن توليـد الطاقات بجميع أنواعها لا يمثل الا أقل من جـزء من الألف مـن الحرارة الشمسية الطبيعية ولذلك ينبغي علينا أن نحرص على أن لا يختل التوازن الطبيعي :

« أَلَّا تَطْغَوْا فِي ٱلْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا ٱلْمِيزَانَ » 55/8.9

والا اضمحلت كثير من الكائنات الحية ان لم نقل كلها .

2 ــ محاولة اسقاط المطـر صناعيا وهذا مستحيل كمـا سيتبين لنا في ما يلـي :

ج ـ الله ينزل الغيث

ان المطر حدث طبيعي غير مفهوم علميا لأنه نتيجة تفاعلات بين عناصر عديدة ومختلفة وغير معروفة كلها •

فمن بين تلك العناصر مثلا الرياح الشمسية التي اكتشفت أخيرا والتي لها تأثير كبير على الحالة الجوية بصفة عامة وعلى المطر بصفة خاصة • وتوجد هذه الرياح الشمسية في الشمس نفسها وتصل أذيالها حتى الأرض في شكل قسيمات ذرية مشحونة كهربائيا وتمد الى أبعد من نهاية النظام الشمسى •

وان كيفية تكوين المطر سر من أسرار الخالق وقد قال الله تعالى :

« إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ » 31/34

وقال أيضا :

« وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ » 42/28

وقـــال :

« أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِي تَشْرَبُونَ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ » 56 / 68 ... 70

وقـــال :

« وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ » 50 / 9

ان ماء المحيطات والبحار يتبخر كما ذكرنا بفضل الطاقة الشمسية أي أن الماء المائع يصبح غازا لا يرى مثل الهواء فتحمل الرياح هذا الغاز الساخن وتصعد به الى الطبقات الجوية العليا .

فاذا التقى هذا الغـــاز بأجسام باردة مثلا جبل مرتفع بارد أو رياح باردة في الطبقات العليـــا من الجو تـــرك حرارته ورجع مائعا على شكل قطرات صغيرة جدا يكون حجمها قسم من الف من المليمتر تقـــريبا فلا تسقط هذه القطرات على سطح الأرض للزوجتها في الهـــواء بسبب حجمها الصغير وهذا هو السحاب العادي الذي تحملـــه الرياح والذي لا ينزل منه المطر على الأرض وقد تكون من

مزج شيئين أحدهما سخن والآخر بارد وهذا اللقاح الاول الذي تكونه الرياح •

ولكن لا يتحول البخار ماءا بمجرد اتصاله بشيء بارد بل ينبغي على الرياح أن تحمل معها مراكز تمييع وهي قسيمات مجهرية من الغبار التي تثيره من سطح الأرض الى السماء ويقع هكذا تلقيح الهواء ليصبح سحابا وتصبح الرياح لواقح بهذه الصفة أيضا •

ان القطرات التى يتكون منها السحاب مشحونة كهربائيا اما سالبة كلها واما موجبة كلها واما نصفه الاسفل من نوع كهربائى ونصفه الاعلى من نوع آخر • وهذه الكهرباء تجعل قطرات السحاب لا تتجمع بل تدفع بعضها بعضا وتحمل الرياح هذا السحاب الى أن يلتقى اما بسحاب آخر أو جبل أو أي مرتفع ذي كهرباء مضادة فتتصل الكهرباء السالبة بالكهرباء الموجبة فيتكون تلقيح من نوع آخر ــ وهذا هو النوع الثالث من التلقيح تكونه الرياح للسحاب ــ وينشأ عنه البرق ثم الرعد فيصبح السحاب محايدا لا كهرباء فيه فتتضخم قطراته بسرعة وتسقط على الأرض في شكل مطر أو اذا كانت البرودة كبيرة في شكل ثلج •

وهذا لا يقع الا باذن الله فهناك سحب لا مطر يسقط منها ولو نشأ الرعد فيها وهناك سحب صغيرة بدون رعد

تنشأ عنها أمطار غزيرة كل باذن الله . هذه بعض أسباب نزول المطـر وردت مبادئها في القرآن بكـل وضوح منذ اربعة عشر قرنـا وهذا دليل آخـر للاعجاز العلمـي في القرآن .

وقد قال الله تعـالى :

« وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ » 15/22

وقال أيضـا :

« وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » 7/57

وقـــال :

« وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ» 9/35

وقـــال :

« وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » 5/45

د ـ الرعـــد

الرعد هو الصوت الذي يسمع عند ضياء البرق والبرق هو الضوء الذى يـــرى عندما يلتقى سحابان مشحونـــان بكهرباء متعاكسة أو يلتقى سحاب مشحون بالكهرباء مـــع الأرض فتحدث الصاعقة •

والمعلوم ان سرعة الضوء 300000 كيلومتر في الثانية وسرعة الصوت في الهواء المرتفع 340 مترا في الثانية •

فعندما تتنقل الشحنات الكهربائية وتعبر الهواء ينشأ عنها أولا ضوء وهو البرق الذي يتنقل بسرعة الضوء المذكورة وثانيا صوت الهواء الذي يقتحم وهو الرعد الذي يتنقل بالسرعة الضعيفة المذكورة .

وهكذا نستطيع أن نعرف ارتفاع السحاب المبرق وهو « 340×ز » مترا ونرمز بحرف « ز » الى الزمن الذي يفصل البرق من الرعد فى صاعقة واحدة .

وقد قال الله تعالى :

« هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ» 13-12/13

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ» 43/24

ان الانسان اذا علم اليوم كيف يتكون البرق والرعد فهو لا يستطيع أن يصنع الرعد سوى صورة منه صغيرة جدا تتمثل في شرارة كهربائية بين معدنين ولكن الرعد الطبيعي يستهلك طاقة كهربائية تقدر بعشرات المليارات من الجول (Joule) تصرف في أقل من ثانية من الزمن وهذه الطاقة هائلة جدا ولا يستطيع الانسان أن يلغي رعدا أو يحوله من مكانه اذا شاء الله أن يصيب به مكانا ما

وان الطاقة المستخرجة في عاصفة متوسطة القوى أكبر من الطاقة الناتجة عن انفجار قنبلة ذرية متوسطة الحجم•

ان المفهوم العلمي للرعد والبرق متفق تماما مع ما اتى في كتاب الله العزيز •

وقد كتب عدد كبير من العلماء في المطر وأسبابه نذكر منهم الاستاذ الفرنسي ساربولى والبحاث السويدي طوربار جيرون والمهندس العام الفرنسى فاسى وكذلك مارشان وقيلبار وغيرهم وهم متفقون كلهم على أن المطر سر من أسرار الطبيعة وقد كتب هانرى ديسانس الاستاذ بكلية العلوم بتولوز في فرنسا في كتابه « التحكم في المناخ » «1968» يقول : « وبدون سحاب فان الحياة على الارض ليست ممكنة أبدا • فان السحب هي التي توزع الماء العذب على القارات ويغذي المطر والثلج والبرد كلا من العيون والوديان والانهار والمياه الجوفية

ويتواصل نزول المطـــر من السحـــاب على الأرض منـــذ مليارات السنين ولكن علم الانسان بأجمعه غير قادر على أن يوضح سر هذا المطر » •

هـ - البحـــر

1 — أمواج البحر :

قال الله تعـــالى :

« أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ » 40/24

ويقول شوقي أبو خليـــل في مجلة العلم والايمان عدد 15/14 صفحة 12 : « وتفاجئنا أخبار المركبـــة الفضائية المشتركة الامريكية ــ السوفياتية بمعلوماتها التي التقطتها بأحدث وأرفع الاجهـــزة • ان المشرف على أبحاث هـــذه

المركبة المشتركة الدكتور فاروق الباز يقول :

« ان التصوير الذي خرق المياه ليصور تضاريس قاع المحيطات أثبت كحقيقة علميـــة أن الأمواج والتيارات في قاع المحيطات هي أضخم وأكبر من أمواج السطح » .

فهـــذه الحقيقة العلمية التي دعمت بنتـــائج دراسات المركبة الفضائية المشتركة ذات مدلول كبيـــر مدلول رائع مدلول معجز لاثبات أن القرآن الكريم وحي الهي نـــزل على قلب رسول الله وأنه ليس من عند البشر .... وهذا المدلول المعجز ليس لنا نحن المؤمنين بالله ربا وبمحمد بن عبد الله رسولا انه مدلول لمن ما زال في شك وحيرة أمـــا المؤمن فتأتيه هذه المعجزات نورا على نور

«وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ»
17/47

.... ربي سبحانك .... ما كان يعلم هـــذه الحقيقة العلمية عند نزول الوحي سواك نزلت كآية .... فصدق بهـــا صحابة رسول اللـــه لتصديقهم وتسليمهم لعمـــوم الرسالة ... وجاء القرن العشرون لنقول من قلوبنـــا : ربي سبحانك .... آمنا بك تصديقا وتسليما ... وجاءت الحقائق العلمية في قرآننا لنزداد ايمانا ولتكون حجة على من كفر » .

2 ــ برزخ البحريــن

قال الله تعــالى :

« وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُــرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا » 53/25

« وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » 12/35

« مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ » 55 / 19-20-21

فلنعتبر أنبوبــا على شكل قوس مقلوب ∩ ونفصــل نصفيه الايمن والايسر بحاجز من مادة نفيذة كالفخار مثلا

ينفذ منها الماء العذب ولا تنفذ منها الاملاح الذائبة فيه •

ولنضع ماءا عذبا في النصف اليميني مثلا فينفذ الماء في الحاجز وبعد وقت معين يستوي سطح المـاء في الجـزء اليساري بسطح الماء في الجزء اليميني •

ولنضع حينئذ شيئا من الملح مثلا في الجـزء اليساري فيذوب هذا الملح فى الماء اليسارى ويرتفع سطح الماء فيه الى قدر معين يكون فيه سطح المـاء العذب على اليمين أقل ارتفاع من سطح المـاء المالح على اليسار كأن بيـن الماءين ضغطا يأتي من الماء العذب الى المـاء المالح وهذه العملية تسمى عملية التنافـذ وهذا الضغط بين المـاءين يسمى الضغط التنافذى •

وكـى نرجع السطحين اليمينـي واليساري مستويين مثلما كانـا في الأول ينبغي علينا أن نسلط علـى السطح اليساري قوة ينشأ منها ضغط يسمـى الضغط التنافذى المعاكس فبذلـك يتسرب المـاء العذب شيئا فشيئا الـى الجـانب اليمينـي ويستوي بذلـك السطحان اليمينـي واليساري •

وكانت هذه الفكـرة معروفة عند العرب وخاصة عنـد الملاحين منهم اذ أنهم كانوا يحولون ماء البحر ماءا عذبا بفضل ضغط أعمـاق البحار الذي يستعملونـه كضغـط

تنافذي معاكس وأن صيادي السمك في مدينة المهدية بتونس يستعملون هذه الطريقة . *

وقد اكتشف انطلاقا من هذه الفكرة اسلوب جديد في البلدان المتقدمة صناعيا لاصلاح الماء المالح يسمى أسلوب الضغط التنافذي المعاكس .

وهذا ما يقع فعلا بين الماء العذب الفرات أي الذي يكسر العطش لفرط عذوبته والذي يأتي من الأنهار والماء المالح الأجاج الذي هو في البحار والمحيطات فيكون بينهما برزخ حاجز لا يظهر للعيان وهذا الحاجز الناشىء عن الضغط التنافذي يولد قوى هائلة جدا الى حد أن بعض المهندسين فكروا في السنة الفارطة في استخدامها واستخراج الطاقة منها مثل استخراج الطاقة من ماء الانهار بفضل السدود .

وهذا الحاجز يجعل الماءين صعبي الامتزاج ولذلك تدخل مياه الأنهار في البحار وتمتد طويلا في مياه البحار دون اختلاط بينهما ولا تدخل مياه البحار في الانهار ولولا هذا الضغط التنافذي الموجه من الماء العذب الى الماء المالح ولو كان الضغط معاكسا أي موجها من الماء المالح الى الماء العذب لتسربت الاملاح الى المياه العذبة بسهولة

---

* وقد سبق ان شرحتها في جريدة لابراس سنة 1968 .

ودخلت فيها وامتزجت بها فأصبحت كل المياه على سطح الأرض مالحة واستحالت حياة النباتات ومن ذلك حيـاة الحيوانات وكذلك حياة الانسان •

وبفضل هذا الضغط التنافذي ترفع الاشجار المـاء من الطبقات الجوفية السفلى الى أعلـى أغصانها ويقوم هذا الضغط التنافذي بمهمة عظيمة في كل خلايا الكائنات الحية اذ أن لكل خلية غشاوات وأغلفـة تستعمل هـذا الضغط التنافذي كي تحمي الخلية من ناحية وكي تغذيهـا بفضل الضغط التنافذي الانتقائي • وهذا سر من أسرار خلـق الله للكائنات الحية •

وما كان لمحمد مخبر أو أجهزة مخبرية كي يطلع على كل هذه الأسرار ويتفطن لهذا الحاجز المذكور في القرآن وهذا ما يبين مرة أخرى أن هذا الكلام غير بشري بل كلام الله الذي لا الاه الا هو •

★

8 - الحياة

«وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْىِ
ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن
لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ
ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ
كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ
يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ»

— 260/2 —

- الله هو الذي يحيي كل شيء وتوجد الحياة خارج الأرض أيضًا.

أ ـ الخلق لله وحده

لقد ذكرنا أن الكون كان دخانا كله قسيمات وضوء فقط في حرارة مرتفعة جدا فوقعت الانفجارة الكبرى وتكون في هذا الفرن وفي زمن قصير جدا غازان بكثرة وهما الهيدروجين والهيليوم .

ثم من هذين الغازين تكونت المجرات وهي مجموعات من النجوم العديدة الباردة بالنسبة للدخان الأولى وفي هذه الافران الجديدة التي هي النجوم تكونت كل العناصر الطبيعية أي التسعون عنصرا الباقية .

فتنفجر النجوم كالشمس مثلا وتتكون منها الكواكب مثل الأرض وهي باردة بالنسبة للنجوم وفي الكواكب بحار تتركب فيها الهباءات المنظمة التي منها البلورات وتتركب أيضا الحوامض الامينية التي ارتكز على وجودها ظهور الكائنات الحية .

وكلما انخفضت درجة الحرارة في هذه الأفران الأربعة المختلفة الا وازداد تعقيد تركيب المادة وتنظيمها وابتدأ ذلك الانخفاض من مستوى مآت من المليارات من الدرجة

المائوية الى العشرات مـن الدرجات المائوية حيث توجد اليوم فيها الكائنات الحية الاكثر تعقيدا وتنظيما •

وقد وقع هذا التطور في الخلق منافيا تماما لمبدأ التطور الذي سبق أن تعرضنا لـه في الباب الثالث فعـوض أن يكون التطور موجهـا نحو الفوضى أي نحـو ارتفـاع الحرارة مثلما ينص عليه مبدأ التطور اذ أن كل نظام لا يتطور الا من حالة نظام منظم الى حالة نظـام فوضوي ثم الى الانحلال والهلاك • فنحن نلاحظ أن التطور وقع بالعكس موجها نحو حالة أكثر فأكثر تنظيما مع انخفاض الحرارة وذلك لا يفهم علميا الا اذا قبلنا أن هناك موجها لهذا التطور وهو الله الذي لا خالق سواه •

ب ـ الجمـاد حي

وان المادة تعتبر عادة جمادا فهي تظهـر لنا على شكل غاز أو مائع أو صلب ولكن الحقيقة أن للغازات وللسوائل نفس الخاصيات وان المادة الصلبة تنقسم الى مادة منظمة وهـي البلورات والى مادة غيـر منظمة التي هي مثـل السوائل بالضبط •

فنستطيع أن نقسم اذن المادة الى :

1 ـ مادة منظمة وهي البلورات وفي السوائل توجـد أيضا بلورات •

2 ــ مادة غير منظمة وهي السوائل •

وهذا يساوي تقسيم المادة الى :

1 ــ أفراد : وهي الذرات

2 ــ مجموعات : وهي البلورات التي هي مادة مكونة من أفراد منظمة •

1) البلــورة :

ان البلورات مجموعات مــن الذرات المنظمة تنظيمــا محكما •

والنوع الواحد منها يوجد على شكلين يميني ويساري أي زوجين كالصورة ومعكوسها في مرآة مثل صورة اليد اليمنى التي هي صورة اليد اليسرى في مرآة وهذا شأن أي تنظيم في المكان أي في الفضاء ذي الثلاثة أبعاد فهو دائما زوجان اما يميني أو يساري فقواقع الحلزون قــد تأتي صدفاتها يمينية أو يسارية وكذلك الحوامض الامينية والبروتونات والسكريات فهي دائما زوجان اما يمينية أو يسارية •

فاذا كسرنا مثلا ركنا من أركان بلورة ثم وضعناها في مزيج من الماء وملح تلك البلورة فينبغي على البلورة أن تنمــو بصفــة متساوية في جميع جهاتهــا بما في ذلــك الركن المكسر وتبقى الكسرة دائما ظاهرة في البلورة وهذا ما لا يقع أبدا بل تنمو البلورة أولا في الركن المكسر فقط

الى أن يجبـــر الكسر وترجع البلورة كاملة كما كانت ثم عندما تنتهي من التجبيـــر تأخذ في النمو الشامل الكـــامل وهذه الخاصية تمتاز بها الكائنات الحيـــة اذ أن الانسان اذا انكسر عضو من أعضائه يعمل الجسم أولا على تجبير العضو المكسر قبل أن يواصل نمـــوه العادي في جميـــع الاعضاء الاخرى ٠

فان المادة البلورية اذن مادة حية والمعلوم أنه توجـــد حيوانات كالفيروس مثلا الذي يتحول بلورات في ظروف معينـــة ثم يستطيع أن يـــرجع حيوانا فيـــروسا مـــرة أخرى ٠٠٠٠

والمعلوم أن البلورات لها خاصيات تمتاز بها ٠ وان لكل منها مميزات خاصة ٠ ومثل ذلك انعكاس الضوء وانكساره وامتصاصه على شكل موجات معينة وهناك بعض البلورات التى تحول الطاقة الميكانيكية الى كهربائية أو العكس٠٠٠

فالبلورات كائنات حية مخلوقة من زوجين وهي ذرات سالبة كالكلـــور في ملح الطعـــام وذرات موجبة وهـــو السوديوم في ملح الطعام ٠

2) الـــــذرة :

كذلك الذرة فانها منظمة تنظيما محكما وهي تتكون من نواة موجبة والكترونات سالبـــة تدور حول النواة علـــى

مدارات معينة تختلف في العدد والشكل من ذرة الى أخرى •

ويقع للذرة مثلما يقع للبلورة أي أن الذرة التي تفقد الكترونا مثلا لا تتفاعل مع الذرات الأخرى المجاورة في المرحلة الأولى الا لارجاع الالكترون الضائع حتى يتحقق التوازن ثم تتفاعل تفاعلات أخرى فهي أيضا تعتبر كائنا حيا مخلوقا من زوجين : النواة الايجابية والالكترون السالب •

ولذلك يذكر الله الجماد في القرآن كالجبال مثلا ويعتبرها كائنات حية لأنها فعلا كائنات حية •

ج - النبات

وهو أيضا كائن حي خلق من زوجين واذا لم يكن هناك لقاح فلا يعتبر تناسلا بل نمو كما لو قطعنا غصن شجرة وغرسناه في التراب فهو لا يتناسل بل ينمو كأنه بقي على الشجرة الأم •

وقد قال الله تعالى :

« إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ »

95 / 6

وقال أيضـــا :

« وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » 13 / 3-4

وقـــال :

« وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ »

22 / 5

وقـــال :

« وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ » 31 / 10

وقـــال :

« سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ » 36/36

وفى سورة مريم يقول الله تعـالى :

« فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا » 19 / 22...26

فلماذا تاكل مـريم « رطبا جنيـا » ؟ ان أحدث بحث علمى عن الرطب يبين أن في الرطب مـادة قابضة للرحم

تساعد على الولادة وتساعد على منع النـــزيف أيضا بعد الولادة وفي الرطب أيضا مادة ملينـــة والملينات النباتيـــة تساعد على تسهيـــل وتأمين عمليـــة الولادة بتنظيفهـــا للقولون •

د ـ الحيـــوان

وقد وقع خلق الحيوان أيضا من زوجين أي من ذكـــر وأنثى وقال الله تعـــالى :

«وَأَنَّهُ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ» 53/45-46

وقد ذكر الله تعالى أن كل الحيوانات هـــي مجتمعات مثل مجتمعاتنا وذكر منها الطيور والعنكبوت والنحل •••

وقـــال :

«وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَـٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ» 6/38

«أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» 16/79

وقـــال :

«أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ» 67 / 19

وتعيش الطيور متجمعة وتشق مسافات طويلة جـــدا لاول مرة دون أن تضل سبيلها .

وقال الله تعـــالى :

« وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » 16 / 68 - 69

فان النحـــل يبني فعلا بيوتـــه في الكهوف والمغـــارات والاشجار ويأكل من الأزهار ومن الثمـــرات وان العسل أنواع متعددة مع اختلاف مأكـــول النحـــل وهو شفـــاء

فالعسل لا يتخمر ولا يتعفن ويشفي الامراض العديدة باطنية أم خارجية • وهناك بعض الامراض لا يداويها الطب الحالي ويشفيها العسل مثلا بعض الامراض الجلدية وقرح الساق المزمنة ••••

وقد ذكر الله تعالى العنكبوت فقال :

« مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ » 29/41

وهنا كلمة « بيت » لا تعني فقط الدار بل أيضا المجتمع الصغير أو الخلية المجتمعية التي يتركب منها الابوان والابناء والمعلوم أن دار العنكبوت هشة اذ أن الخيط الذي يتكون منها ضعيف جدا بالنسبة لخيط دودة الحرير مثلا هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لقد اثبت العلم الحديث أن عائلة العنكبوت هي فعلا أوهن العائلات اذ أن الانثى بعد أن تغزل البيت ويأتي الذكر ويقع معه التلقيح تفترس الانثى الذكر ومن بعد ذلك تأكل أولادها وان الاولاد أنفسهم يأكل بعضهم بعضا فهو أوهن البيوت حقا وتلك آية يضربها لمن اتخذوا من دون الله أولياء •

هـ- الانسـان

أكثر من ثلاثة أرباع جسم الانسان يتركب من المـاء وهو يحتوي على أكثر من كيلو غرام كلسيوم وكيلو غرام حديد تقريبا وبعض المآت من الغرام ملح طعام وفسفور وبعض العشرات مـن الغرامات مـن العناصر الاخـرى المختلفة .

كل هذه المواد توجد في بعض المليارات من الخلايا التي يتركب منها جسم الانسان وكل الخلايا متشابهة في هيكلها الاساسي مهما اختلفت المهمات التي تقوم بها : في الجلد أو في الكبد ....

وحجم الخليـة التي تشبـه البيضة لا يفـوق بعض العشرات من الميكرونات * وهي تتركب من نواة وهيولى أو حشوة .

وتوجد في النـواة التي تتركب من حـامض نـووي صبغيات وفي الصبغيات مورثـات هي مسؤولـة علـى تنظيم المادة التي يتركب منها جسم الانسان تنظيما محكما فيتكون منها الذكر والانثى والأسود والأشقر والطويـل والقصير وكل المعلومات مهما كانت دقتهـا والتي حسبها يبنى هيكل الانسان .

---

* الميكرون : جزء من ألف من المليمتر .

ويبلغ حجم الصبغيات 2 الى 5 ميكرونات وهـي 23 مثنى تقسم الى سبع مجموعات وثامن لها مختص بالتمييز بين الذكر والانثى .

وقد قال الله تعـالى :

« إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ » 15 / 86 - 87

وقال أيضـا :

« خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَـٰتٍ ثَلَـٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ» 39 / 6

وقـال :

« وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ » 53/45-46

وفي الآية الأولى لم يميز فيها الله بين الذكر والأنثى فلذلك لم يذكر الا سبعا من المثاني أي من هذه الصبغيات وهو يتكلم عن الخلق وهو الخلاق العليم وكمل ما كتبه للانسان في هذه المثاني بما أتى به له في كتابة القرآن العظيم فالمثاني لبناء هيكله المادي والقرآن العظيم لاكتمال هيكله الأدبي والروحي فالمثاني للدنيا والقرآن العظيم تكميلا للدنيا وللآخرة سواء أكان الانسان ذكرا أو أنثى وكلها كتابة ومعلومات سواء أكانت مثاني الصبغيات المكتوب فيها بفضل العشرين حامضا أمينيا كما سيتضح لنا أو القرآن العظيم المكتوب بالثمانية والعشرين حرفا من اللغة العربية .

وفى الآية الثانية لا يتكلم الله فيها من أولها الى آخرها الا على الخلق فهو قد ميز هنا من البداية بين الذكر والانثى فقد ذكر ثمانية أزواج وهي فعلا نعمة الله علينا أن تكسب الخلية الأولى التي يخلق منها الانسان كل هذه المعلومات أولا لبناء هيكل الجسم وثانيا للقيام بالوظائف المختلفة في الجسم : التنفس والهضم والدورة الدموية .... والتي ليس لارادة الانسان أن تدخل فيها بحال من الاحوال ....

ثم يذكر الله تعالى في الآية الثالثة أن جنس الانسان يتكون من المثنى الثامنة التى هي في نطفة الذكر لا من

المثنى الثامن في بويضة الانثى وهذا ما بينه العلم الحديث فهل كان لمحمد مجهر كي يرى مثنى الذكر أو الانثى ويعلم ما أتت به هذه الآيـة الكريمة خلافا لمـا كانت تعتقـده البشرية جمعاء حينذاك وحتى آخر هذا القرن في أن جنس الجنين يأتى من المرأة لا من الرجل وأن النساء اللاتي كن لا ينجبن الذكور كن يطلقن والحال أن الرجل هو الناجب لجنس الجنين لا المرأة كما يأتـي واضحا في هذه الآيـة الأخرى قوله تعـالى :

« أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ »
75/37 - 39

وفي قوله تعـالى « ولقد آتيناك سبعـا من المثانـي والقرآن العظيم » ما الذي يستوي ويسبـق القرآن في الخلق بالنسبة للانسان سوى كلام اللـه الذي بفضلـه تكون الانسان ؟ وهو يحيى وينشط حسب هذه المعلومات المكتوبة فيه . فاذا كانت السبع المثاني هي الفاتحة فكيف تستوي الفاتحة مع كـل القرآن وهل ليست هـي مـن القرآن ؟ وهي نكرة « سبعا » فلو كانت هي الفاتحة لقال « السبع » بالتعريف فنحن لا نقول فاتحة بل « الفاتحة » بالتعريف وهى « سبع » لا « السبع » لانها ليست مماثلة

عند انسان وآخر كما بينـاه في فصل الاعداد اذ أن كـل انسان نسخة لا مثيل لها في الدنيا لان مثانيه تحتوي على كتابة فريدة مـن نوعها ووحيدة في الدنيا فلكـل انسان « سبع » من المثاني وأما القرآن فهو واحد لا ثاني له اذ أنه كلام الله لكل المخلوقات • وكيف تبدأ الآية « بان ربك هو الخلاق العليم » وكيف نفسر الخلق اذا لم تكن المثاني هي المعلومات والبرنامج العظيم المكتوب في كل خلية من خلايا الانسان كي يخلق وكيف نفهم في الآية (6/39) المذكورة أن الأنعام هي الابل والبقر ••• وقد ذكـر الله في هذه الآية أربع مرات معنى الخلق وليس أي خلق بل خلق الانسان بالضبط وكيفية تكوينه فلا بـد لنا أن نفهم ان المقصود من كلمة « أنعام » هذه هي الصبغيات التي تحتوي على برنامج خلق الانسان كما ذكرنا •

وكل خلية تحتوي على أكثـر من أربعين الف مورثة في صبغياتها لا نعرف منها اليوم سوى مائة تقريبا وتحتوي المورثات على أكثر من خمس مليارات من الكلمات مكتوبة بفضل أربعة حروف وهي الاربع قواعد ازوتية : ادينين وقوانين وسيتوزين وتيمين تتجمع ثلاثيا فتحصل منها 64 كلمة تتلخص في عشرين كلمة فقط وهي العشرون حامضا أمينيا المعروفة •

فنستطيع أن نقول ان كل خلية من خلايا جسم الانسان

تحتوي على مكتبة ضخمة جدا يوجد فيها أكثر من خمس مليارات من الكلمات أي ما بين عشرين وثلاثين الف كتاب في كل واحد منها أكثر من مائتي صفحة .

لكن هذه المكتبة الضخمة غيـر مفتوحة كلها لأي خلية فكل خلية تفتح بعض الكتب ان صح هذا التعبيـر فخلية الكبد تفتح كتبا تختلف عن الكتب المفتوحة في خلية الجلد فمن الذي يفتح الكتب ويغلقها ؟ هذه هي المعجزة التي لا يعلمها الا الله .

وهذه المعلومات مكتوبة على شكل سلم لولبي معلقة فيها الكلمات ولا تستعمل الكتب مباشرة كي لا يقع تغييـر أو خلـل في الكتابة ولكن تسجل المعلومات كلما دعت الحاجة لها وتخرج نسخة مطابقة للاصل أي لما في الكتب وتستعمل هذه النسخة ولا يستعمل الأصل أبدا حتى يبقى محفوظا وهذه معجزة أخرى . والقرآن أيضا محفوظ اذ قال الله تعـالى :

« بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ » 85/21-22

وهناك معجزة أخرى تتمثل في تنسيق الخلايا . فـان الخلايا المتماثلة في كيانها والمختلفة في وظائفها وهـي في عدد أكثر من خمس مليارات كيف يقع التنسيق بينها وبين

وظائفها ونشاطها ؟ ومثل ذلك مثل الآلة التي تتركب من خمس مليارات من القطع المستقلة والتي يجب عليها أن تشتغل بتنسيق لتحريك الآلة والقيام بمهامها والمعلوم أن المحرك العادي للسيارة لا يتركب الا من بضع المآت من القطع المستقلة وقد صنع الانسان المحرك منذ أكثر من قرن وفي نسخ متعددة ومتكررة وهو حتى الآن عندما يركب هذا المحرك لا يشتغل عادة من الدفعة الأولى فينبغي عليه أن ينسق فيه بعض القطع ويعدله كل مرة تغييرا جديدا الى أن يشتغل المحرك بنفسه .

كذلك الانسان الذي يتركب من مليارات الخلايا فمن الذي ينسق بين هذه الخلايا ومن الذي يعدل الاختلاف الذي يقع بينها ولا يستطيع العالم اليوم أن يدرك هذا التنسيق الذي هو معجزة أخرى وقد أكد الله تعالى قائلا:

« بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ » 4/75

« أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ » 16 / 17-20

فهكذا يقرأ الانسان بدون أن يشعر بما في خلاياه كي يبني هيكله ويقـــرأ ما في القرآن ليتطور فيتثقف ويسمو ويعيش عيشة كريمة ويهيىء نفسه للآخرة بعمل الخيـــر ولا يكون كل ذلك الا بالايمان بالله الذي خلق وقد قـــال الله تعـــالى :

« ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ » 96 / 1 ـــ 5

« خلق الانسان من علق » لا من علقة والعلق هنا هي بالضبط تلكم المعلومات المعلقة كما ذكرنا في كل مورثـــات الخلايا وخاصة في المورثات التي يحملها الحيوان المنوي من ناحية وبويضة الانثى من ناحية أخرى فكلمة « اقرأ » الأولى تهم المعلومات التي تحتوي عليها الخلية الأولـــى كي يتكون منها هيكل الانسان وكلمة « اقرأ » الثانية تهم ما علمه الله للانسان بالقلم وهو القرآن العظيم وذلـــك مطابق تماما لقوله تعالى « ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقـــرآن العظيم » • فيتكون هيكـــل الانسان بفضـــل معلومات العلق ويشيد مستقبله وتطوره الثقـــافي بفضل معلومات القرآن العظيم •

وفي يوم القيامة سيقرأ المـرء كتابه الذي يحتوي على كل ما نواه في أعماله الدنياوية وقد قال الله تعالى :

« وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا » 15 13/17

فاننا نعلم اليوم الكتـاب الذي بفضل قراءته يخلـق الانسان وهو مسجل في المورثـات وكذلك الكتاب الـذي بفضل قراءته يقع تطـور الانسان الثقـافي وهو القرآن الكريم .

ولا نعلم اليوم أين تكتب نيـات الانسان في أعمالـه الدنياوية خيرا كانت أم شرا حتى يقرأها يوم القيامة ولا يعلم العلم اليوم شيئا عن ذلـك وذكر الله تعالى هـذا الكتاب اما على يمين الانسان أو على شماله أو وراء ظهره في آيـات عديدة منهـا الآيات : (71/17) و (19/69) و (25/69) و (7/84) و (10/84) .

يقول الله تعالى في سورة الزمر المذكورة (6/39) « يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث » ويفهم العديد من المفسرين أن الظلمات الثلاث هي البطن والرحم وكيس الجنين لكن الله تعالى ذكر البطن من قبل في أول الجملة اذن هذا الفهم غير مقبول والا لقال في ظلمتين اثنتين اذ أن الأولى قد ذكرت .

وهناك من يفهم أن الظلمات الثلاث هي :

ـ الكيس الاول Amnios Membrane الذى يحتوي على سائل اللزج حيث يقوم في وسطه الجنين البشري المتحرك دائما .

ـ والطبقة السميكة Chorin Frosodum التي تقوم فوق هذا الكيس وتغلفه من جميع الجهات .

ـ والطبقة العازلة الثالثة والخارجية Décionauera

وهذا الفهم وان كان مقبولا فهو ضعيف اذ أن الله يتكلم عن الخلق وكلمة «في» لا تدل على المكان فقط بل أيضا على الشكل .

فهي تدل على كيفية الخلق واعجازه والمفهوم الارجح هنا هو أن في المرحلة الاولى للخلق بعد تلقيح بويضة الانثى يتكون الجنين على شكل ثلاث طبقات للادمة الجذعية وهي :

1 ــ الطبقة الظاهرية Ectoderme وهي مسؤولة على تكوين الخلايا العصبية •

2 ــ المضغة الوسيطة Mésoderme وهي المسؤولة على تكوين الهيكل العظمي والعضلات والكلى والمجاري •

3 ــ الأدمة الباطنية Endoderme وهي المسؤولة على تكوين النظام الهضمي وما يتبعه •

والمعلوم أن مركبات الجسم هذه تتكون الواحدة تلو الاخرى أي « خلقا من بعد خلق » •

وان وصف خلق الانسان في القرآن ابتداءا من البويضة الانثوية والحيوان المنوي الذكري الى حين الولادة وتكوين اللبن والرضاعة هو وصف ينطبق تماما مع ما اكتشفه اليوم العلماء بفضل أحدث الآلات المعقدة كالمجهر الالكتروني وغيره وهو وصف يخالف كل ما كان معروفا ومتداولا بين الشعوب في زمن نزول القرآن وقد بين الدكتور موريس بوكاي الجراح الفرنسي المعروف الذى تعلم العربية كي يدرس القرآن في كتابه « الانجيل والقرآن والعلم » كل مراحل خلق الانسان بدقة تثير الدهشة ويختم قوله في فصل « تناسل الانسان » : « هكذا نلاحظ في ما يخص النصوص النظرية التي تهم التناسل والتوجيهات التطبيقية المقننة لحياة الزوجين

الجنسية فلا يوجد أي تناقض بين البيانات المذكورة هنا « أي في القرآن الكريم » وبين نتائج العلم الحديث ولا حتى بين ما سيستنتج منها منطقيا » .

و- الحياة خارج الأرض

ان العلم يؤكد اليوم أن الحياة خارج الأرض موجودة وان حساب الاحتمالات يبين أن في مجرتنا وحدها توجد أكثر من مليون كوكب مثل أرضنا فيه المناخ اللازم لحياة عضوية مثل الحياة الموجودة عندنا .

ويؤكد العلم أيضا أنه من الممكن أن نتصور أن هناك حياة أخرى مصوغة صياغة أخرى كالحياة السيليسية مثلا أي أنه عوض أن تكون الحياة مقامة على ذرة الفحم فهي مقامة على ذرة السيليسيوم .

وزيادة على ذلك فان دراسة الانسان دراسة دقيقة فيزيولوجيا ونفسانيا تبين أن علاقة الانسان بالحيوانات الارضية الأخرى ضعيفة جدا ان لم نقل مفقودة وتفضي بنا هذه الدراسة الى الاعتقاد بان الانسان غير أرضي ونحن المسلمون نعلم أن الانسان غير أرضي اذ قال الله تعالى :

« وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ

ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ
أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا
ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ
هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ
لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ قَالَ
يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ
قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ
وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ
ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا
حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا
مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا
فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ

وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ
فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟
مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ
هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ» 2/ 30....39

ويواصل الانسان اليوم جهوده للبحث عن حياة أخرى في الكون وقد خرج من السماء الارضية الى السماء القمرية وزحف حتى السماء الشمسية فرمى بالصفيحات الحديدية المكتوبة الى خارج النظام الشمسي لعلها تلتقطها مخلوقات أخرى فتعلم بوجودنا في الأرض وشيد الانسان السواري المرصدية كي يلتقط الامواج الاثيرية المحتمل ارسالها من طرف هذه المخلوقات المفترض وجودها .

وقد درس الانسان كل ما قيل عن الاطباق الطائرة بكل دقة واعتناء وكانت النتيجة أنه حدث موجود فعلا ولكن لا أحد يعلم عنه شيئا كثيرا .

وقد قال الله تعـالى :

« وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ» 15/13

« وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ» 15/14-15

« تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا» 17/44

« وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ» 42/29

« وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ» 45/4

« يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ » 33 / 55

وان الله لا يذكر لنا فقط أن هناك فعلا في الكون مخلوقات أخرى عديدة منها الجن والملائكة .... ولكنه قادر أيضا على أن يجعلها تلتقي بعضها ببعض .

وهنا يفوق كلام الله كل العلم الحديث ومن جميع نواحيه . وهذا مشكل المخلوقات الأخرى مشكل قائم اليوم في العلم الحديث ويذكره القرآن بكل وضوح وبدون شك ولا تردد .

كذلك فان الله تعالى يذكر في كتابه العزيز مشاكل علمية عديدة أخرى لا يستطيع العلم اليوم حتى أن يبسطها أو يضعها فى صغتها المفهومة .

★

٤ - الخاتمة

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ
عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ
تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ
خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ »

— 11·10/61 —

فتبين لنا هكذا السبيل إلى التقدم

ولقد تبين لنا في عصر العلم أن الاسلام دين علم وان القرآن كتاب علم أيضا ٠

ان للمسلمين نعما عديدة أنعم بها الله عليهم تحقيقا لدعاء سيدنا ابراهيم عليه السلام :

« وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ »

126 / 2

ولقد جعله آمنا بتزويدهم بالقرآن كما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام : « اني تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلا تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه » ٠

ومن الله على المسلمين الذين لا يقل عددهم عن ثلث البشرية بكل خيرات الدنيا فاعطاهم الأرض وهي اليوم جنوب أوربا وثلاث أرباع افريقيا وأكثر من نصف آسيا وجزر عديدة وهي تفتح على جميع البحار والمحيطات فيستطيعون الاتصال بتحركات كل البشر في المعمورة

ونشر كلمة الحق في كل مكان اذ انه لا يوجد بلد واحد بلا مسجد نظامه كان اسلاميا أم غير اسلامي ٠

ومنّ الله على المسلمين بأمـوال لا حد لهـا في جميع بلـدان المعمورة منها مـا يستثمرها غيـر المسلمين وان استثمروها في بلادهم لازدهـر اقتصادهم بين عشيـة وضحاها ٠

وقال الله تعـالى :

« وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ »

34/14

وقـال :

« أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ » 16/17-18

ومنّ الله على المسلمين بخيـرات لا تحصى ولا تعـد قوام جلها الطـاقة ٠ فلما كانت الطـاقة التي يستغلهـا

الانسان طاقة حيوانية من الله على المسلمين أولا بالفرس السريع الذي بفضله فتحوا المعمورة وحققوا لأنفسهم المناعة وثانيا بالجمل القوي الصبور الذي بفضله طوروا التجارة ونشروا الحضارة ولما أصبحت الطاقة التي يستغلها البشر هي طاقة النفط والغاز من الله على المسلمين بكميات هائلة من النفط والغاز الطبيعي وهي تعتبر اليوم أكبر مدخر في العالم وتقدر بأكثر من ثلاث ارباع ما يعرف في الارض كلها ·

وعندما ستكون الطاقة باذن الله الطاقة الذرية فان للمسلمين حظا كبيرا فيها اذ توجد في أراضيهم كميات هائلة من المواد النووية ·

وعندما يتطور استغلال الطاقة في وقت لاحق الى الطاقة الشمسية فان اراضي المسلمين أكثر اشماسا في المعمورة وهي المنطقة التي نستطيع أن نسميها القطب الحراري للارض ·

ورزقنا الله كل هذه الثمرات بفضل دعاء سيدنا ابراهيم عليه السلام ·

ولقد تبين لنا أن القياس والتطور أو الحركة أساس من أسس النشاط العلمي ولذلك ينبغي على العالم ضبط الاعداد والزوايا لقياس الابعاد الثلاثة التي يرتبط بها

المكان وضبط قيـــاس الزمان الذي هو البعـــد الرابـــع . والمسلمون هم الذين مدوا الانسانية بالاعداد والحساب وحساب الزوايا وكذلك آلة قياس الزمان وهي الساعـــة كما ذكرنا .

ان العالم الكبير آينشتاين ينعت المبدأ الاساسي للعلم المعاصر الذي هو « لا يوجد فى الكون تطور لا خالد ولا مطلق » بانه « مبـــدأ سلبي » * ورغم ذلك فان الانسان المعاصر استطاع أن يحقق به ثورتين صناعيتين وأن يشيد على هذا المبدأ حضارة راقية في عصرنا هذا .

والمعلوم أن هذا المبدأ يوجد عنـــد المسلمين منصوص عليه بصفة ايجابية اذ أن القرآن يذكره مع بيان من الذي يبقى دائما خالدا ومطلقا وهو الله الذى لا اله الا هو :

« كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ » 55 / 26-27

« كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ » 28 / 88

« وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ » 11 / 123

---

* البار آينشتاين : آراء علمية واخلاقية واجتماعية .

وقد حـــرر الاسلام الانسان من كل مسيطر ومتجبـــر فبكلمة « لا اله الا اللـــه » تحرر المسلم من عبودية أي شيء حيا كان أم ميتـــا وانسانا كان أم صنما أو تمثـــالا فهو حر حرية مطلقة ٠

وجعـــل الاسلام المسلمين الاحرار اخـــوة فالمؤمن أخ المؤمن وحقق الاسلام لهم العدالـــة الاجتماعية المطلقـــة

وقال الله تعـــالى :

« إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» 10/49

وأما الحرية الفردية والعدالة الاجتماعية فهما الشرطان الاساسيان كي يعمل المؤمن عملا صالحا في الدنيـــا وينتج عن ذلك العمل الصالح كل من التقنية والاخلاق والاقتصاد والفن ٠٠٠٠ وكل فروع نشاط الانسان فيستقيم المجتمع بذلك العمل ويشيد الحضارة الشامخة التي تحققت فعلا في العصور الاولى للاسلام ٠

فتبين لنا هكـــذا السبيل الى التقدم اذ أننا استخلصنا أن كتاب الله العـــزيز قاعدة لنا وهدف في نفس الـــوقت ندركهما بفضـــل الايمان باللـــه والعمل الصـــالح ٠ واذا تمسكنا بذلك ملكنا كل مقومات الحضارة وخاصة منها مـــا

ينتجه الفكر كالعلم هذا والتقنية مثلا وهكذا أصبح الربط متينا عند الأمـــة الاسلامية بين ماضي حضارتها المـــاجد وحاضرها الذي ينتظر تلـــك القاعدة لوثبة جديدة وثورة عارمة نحـــو مستقبل مزدهـــر بما في ذلـــك تطور العصر الحديث .

فبكلمة « الله اكبـــر » على لسان المجاهدين سطع نور الحق على هذه الارض منـــذ أربعة عشر قرنـــا وبالامس القريب بكلمة « الله أكبـــر » على لسان المجاهدين أيضا تـــذاع من ظـــلال الزيتونة المعمورة ومن أعلـــى جبـــال الاوراس الشامخة ترددها الزيانين الساحلية والجبـــال الاطلسية ويمتد صداها الى الصحاري القريبة والبعيـــدة سطع نور الحق مـــرة أخرى على هذه الارض الطـــاهرة ومسح الاستعمار والظلم والعبودية واليوم حول كلمـــة « الله أكبـــر » أيضا نستطيع باذن اللـــه أن نلتف كلنـــا البعيدون والقريبون لاعلاء كلمة الله وتطبيق تعاليم كلامه فنحقق التقـــدم ونشيد حضارة دائمـــة يشع نورها على الانسانية ولقد قال الله تعـــالى :

« وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » 3 / 104

فهذا هو السبيل كي نحل مشاكلنا الوهمية ونشارك في تسوية مشاكل الانسان المعاصر اذ أنه أصبح عديم المقاييس الاخلاقية وفريسة الطبيعة الملوثة البيئة وسجين المفرقعات النووية المخزونة .... فيصبح الانسان رفيع المنزلة في الدنيا ليحيى حياة راضية قادرا على التهيؤ للآخرة .

فينبغي على المسلمين اذن فى هذه المرحلة الخطيرة التي ندخل فيها في القرن الخامس عشر أن :

1 ــ يحدثوا تغييرا جذريا على ضوء هذه الحقائق ويلتمسوا فيها المنابع الاسلامية .

2 ــ أن يحققوا ثورة فكرية ثقافية حضارية تشع على الانسانية مقامة على الحق والعدل المنبثقين من كتاب الله وسنة رسوله وأن ينجدوا الانسانية من السقوط فى هاوية الانحلال والفوضى والهلاك .

3 ــ أن يعودوا الى الاصالة الاسلامية بتطبيق تعاليم القرآن الكريم الذي هو كلام الله في جميع مجالات نشاط الانسان والمجموعات تطبيقا مستقيما .

وقد قال الله تعـــالى :

« يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ
تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ
وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ
ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ » 61/10-11

★

٥ ـ مذكّرات

1 ـ رسالة مجلة "العِلم والإيمان"
2 ـ الأرقام عربيّة

1- رسالة مجلة العِلم والايمان

صدرت في 7 مارس 1972

مديرها المسؤول: الاستاذ دكتور بشير التركي

العنوان: 12 نهج تورَان "بلفيدير" تونس

الهاتف: 283.574

انزل القرآن باللغـــة العربية فجعل منها لسانا مبينـــا يحتوي على العلم كلـــه بعد ان كانت لغـــة بداوة متعددة اللهجات وهكذا اصبحت لغة الدين والدنيا معا وبها سطع النور على الانسانية فنشأت الحضارة الاسلامية العربية التي أصبحت قائمـــة بذاتها بعد أن تمثلت في مرحلتهـــا الاولى ما في الحضارات الاخرى من عناصر تفيد رقـــي الانسان روحيا وماديا • وان ما يميز الحضارة الاسلامية العربية عن سائـــر الحضارات اعتبارها الانسان رفيـــع المنزلة في الدنيا بما يكتسب من العلم والاخلاق الفـــاضلة ليحيى حياة راضية وقادرا على التهيـــؤ للآخرة بالايمان يدعمه العمل الصالح النابع من القلب السليم بهذا كانت معجزة الحضارة التي نبعت من الاسلام فكانت الثـــورة الكبرى ووقعت قفزة الانسان الحاسمة نحو السعادة •

وتقدم الزمـــن فأصبح الانسان بالماديات مولعـــا وفي الملاهي منغمسا وللشهوات الرخيصة طالبا متمسكا في كل ذلك بقشور الحضـــارة ومعرضا عن لبهـــا وما هي الا ان انهارت الحضـــارة الاسلامية العربية بتنكـــر أهلها لهـــا

وشيدت على بقاياها خضارات اخرى نعرفها اليوم وهي تنتصب أمامنا قوية في مظاهرها المادية الجبارة التى تحكي قصة العمل المتواصل والعقول المكدودة .

الا ان التاريخ علمنا ان هذه الحضارات اللاحقة مشرقة في مظهرها ولكنها في الحقيقة هزيلة في لبها ، اذ انها قائمة على مبادىء سلبية انسانيا وتفكيرا علميا .

وهذا العالم الكبير آينشتاين ينعت المبدا الاساسي لنظرية النسبية بانه « سلبي » وقال « قد يبدو لنا ان علمنا لا يستفيد الا قليلا من هذا البيان السلبي ذلك انه في حقيقة الامر يبالغ في تضييق مدى القوانين الطبيعية القابلة للادراك » هكذا شهد أحد بناة الحضارة الحديثة !

فلا غرابة اذن ان يتنكر لهذه الحضارة شبابها ويصبح عاقا لها فهي التي غذته بعقلية التنكر والعقوق وتركته في مهب الرياح تائها .

والرأي عندنا ان الحضارة الاسلامية العربية قائمة على أسس ايجابية من حيث المضمون الاخلاقي نابعة من مبادىء ايجابية من حيث التفكير العلمي انها حضارة عميقة الجذور مؤكدة للقيم وخاصة لقيمة الانسان وستتاح لنا الفرص للتدليل على كل هذا في مختلف اعداد هذه المجلة .

ذلك ان هذه المجلة،تعتزم المشاركة في القيـــام بواجب، متأكدة في هـــذه الفترة الحاسمة مـــن تـــاريخ الحضارة الاسلامية العربية والواضح ان الاجيـــال الاخيرة قـــد اجتهدت في حمايتها من التيارات الطارئة المستوردة التي يراها بعضهم وسائل تقدم « جـــاهزة » واجتهدت خاصة في تمكينها من الحرية التي بها تحيى وتنمو •

ولا شك فى ان الحضـــارة الاسلامية العربية احـــرزت نجاحا باهرا في عصرنا الحاضر اذ ان الجماهير في المشرق والمغرب أيقنت اليوم بان العربية لغة علم وحضارة وقـــد كانت لنا في هذا الموضوع مواقف واضحة •

وقد حان لهذه الحضارة ان تنهض نهضة حقيقية ، الم نرها تتمثل في سرعة عجيبة ويسر كبير في كل ما هو صالح للانسان ذائـــد عن كرامته وذاته باطلاق ولنـــا ان نطعم حضارتنا بمثل هذا الرحيق وهذا ما ستشارك المجلـــة في القيام به وهذا هو التمازج ــ أو التفتح كما يقال ــ الذي كان منبعا من منـــابع حضارتنا مـــن العصور الاسلامية الاولى •

ولكنه من المعروف ان الحرية الفكرية لا تبقى سليمـــة اذا عمد أهلها الى الاستهلاك المطلـــق والتسول المستمر بدون مشاركة في الانتاج • فلا حرية بدون ابتكـــار وان الانتاج ليستحيل بدون غـــذاء من الجذور الاصيلة وان

الابتكار لا يكون الا باللغة العربية وهذا ما ستعمل المجلة على الاسهام فيـه فغايتنا هي تجـديد التفكير العلمـي الايجابي الذي تتآلف فيـه الروح والمادة كما كان ذلـك بالامس الحافل بالنتائج الكبرى .

وان هذه المجلـة نشرية علمية يجتمع فيهـا المولعون بالعلم سواء أكانوا منتجين أم اياه طالبين فمن أهدافهـا نشر العلم وتعميمه وتعاطيه لانه من النصيحة ان « يطلب الانسان العلم من المهـد الى اللحد » ومن الحكمـة ان « حبر الطالب أقدس من دم الشهيـد » وستعمل هـذه المجلـة على تشجيع كـل ما من شأنـه ان يدعم النشاط العلمي وحرية تطويره .

فالعلم نتيجة العقل وبالعقل خص الله الانسان ليفضله على سائر المخلوقات جميعا فقال تعالى « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البـر والبحر ورزقناهم من الطيبـات وفضلناهم على كثير ممن خلقنـا تفضيلا » وهو الـذي « علم آدم الاسماء كلها » و « علمه البيان » وهو الذي « علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » .

وليس العلم وسيلة تجبر فكري أو أداة قهر مادي بل سبيل الى المحبة الانسانية والطمأنينة النفسية والاخـوة بين البشر وهو نور به يستنير الانسان كي يدرك أسمى

القيم وأعلى المثل ليعرف نفسه ويعرف الملا الاعلى « وانما يخشى الله من عباده العلماء » .

ولكن الانسان أصبح اليوم فريسة لمشاكل مؤلمة هو صانعها وخائفا من غد مهول هو ناسجه . الم تصبح الطبيعة ملوثة البئة ، سجينة المفرقعات المخزونة ؟ الم يصبح الانسان في جزع من كل ذلك ؟ فاختلت عنده المقاييس الاخلاقية وما نال من الماديات كبير جدوى ، وفي عصر كهذا ستشارك الحضارة الاسلامية العربية عند نهضتها في حل هذه المشاكل وفي تطور الانسان تطورا صحيحا وفي حماية كل القيم الانسانية .

★

2. الأرقام عربية

للعرب نظامان للترقيم وقد اتخذت البشرية
أحدهما نظام ترقيمها بدون هضم

اننا نستعمل في هذا الكتاب مثل ما استعملناه في مجلة « العلم والايمان » النظامين للاعداد وهما :

أ) النظام الغبـــاري : ٠ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩

ب) النظام الخوارزمي : 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9

وكلاهما عربي الأصل فالاول مشتق من الكتابة العربية الغبارية فنسميه النظام الغباري والثاني مشتق من مفهوم الزوايا للعـــالم العربـــي الخوارزمي فنسميـــه النظـــام الخوارزمى * ٠

والمعلوم أن البشرية كلهـــا اقتبست النظـــام الثانـــي المستعمـــل الآن عند غيـــر العرب تحت اسم « الاعـــداد العربية » ٠ فكل كتابات العالم تحتوي على هذه الرموز العربية العشر ٠

وأما الكتابة العربية فلها نظامان للترقيم تكتب كلها من اليمين الى اليسار مثل الكتابة العربية نفسها اذا اعتبرنا تركيب الانسان ٠ فنقول مثلا ثماني وسبعين وتسع مائة وألف ونكتب 1978 مثل ما نتكلم في نفس الوقت وكذلك

* راجع مجلة العلـــم عدد 2 صفحة 5 (1972) وعـــدد 15 صفحة 19 (1973) ٠

نجري العمليات الحسابية التي نبدأهـــا من اليميـــن الى اليسار أيضا مثل الكتابة العربية نفسها .

وأما الشعوب غير العربية فهم يكتبون حروفهم غالبـــا من اليسار الى اليميـــن وأدمجوا التـــرقيم العربـــي في كتاباتهم بدون هضم فهم يكتبون الارقام مثلما أتى بهـــا اليهم العرب والحال أنه كان ينبغي عليهم في المثال السابق أن يكتبـــوا 1978 هكـــذا 8791 كي تكون متناسبة مـــع كتاباتهم أي من اليسار الى اليميـــن وتكون كل عمليـــات كتابة الاعداد وقراءتها وحسابهـــا في نفس الوقت مـــن اليسار الى اليمين عوض أن تكتب الاعداد مثلما يعمـــل به الآن 1978 من أولها الى آخرها ثم تنظم مـــن آخرها الى أولها ثلاثة رموز بعد ثلاثة رموز لتسهيل قراءتها ثم تقرأ من أولهـــا الى آخرها فيتبين هكذا أنه تقـــام ثلاث عمليات كلما كتب عدد عوض عملية واحدة مثلما هو الشأن عند العرب .

وبالتحليل يمكن أن يتبين أن لهذا تأثيرا كبيرا في التفكير وفي أعمال الحاسبات الالكترونية وبالتـــالي في الاقتصاد بصفة عامة .

فيتبين اذن أن كتابات العالم غيـــر العربي لا تحتوي حروف الكتابة فيها على عشرة رموز عربية فقط بل يكتبون أيضا كلهم هذه الرموز العددية من اليمين الى اليسار مثل

العرب فلا يحسن بنـــا أن نقلدهم ونقرأ مثلا هذا العدد 1978 الف وتسع مائة وثماني وسبعين وهو مكتوب كتابة عربية صحيحة أى ثمان وسبعون وتسع مائة والف •

وتوجـــد مخطوطات قديمـــة عديدة معروفة ومصاحف تحمـــل الترقيم الغبـــاري وحده أو الترقيم الخوارزمي وحده أو الاثنين معا •

★ ★ ★